مـــــوج

رواية

وئام الموسوي

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
موسوعة توثيق إرهاب القاعدة وداعش في العراق
٢٠٠٣م - ٢٠١٧م

الاشراف العام:
اللجنة العليا لموسوعة توثيق ارهاب القاعدة وداعش في العراق
مركز بيِّنَة للأمن الفكري والثقافي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
( )

البريد الالكتروني :
WWW.BAINA.COM

العراق:كربلاء المقدسة
الطبعة الأولى ١٤٤٦هـ- ٢٠٢٤ م

حقوق النشر محفوظة للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

التصميم والإخراج الفني:
م. زهير محمد حسين الجبوري

مـــوج

رواية

وئام الموسوي

الإهداء...

إلى شعلة النور التي تبدد الظلام، إلى من روت دماؤهم الطاهرة أرض الوطن، فأنبتت العزة والكرامة. إلى شهداء العراق...

إلى المرجع الأعلى، سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني (دام ظله)، القائد الحكيم الذي حمل راية المعركة الفكرية في أحلك مراحل تاريخ العراق، فكان حصن الأمة وسراجها الوهاج.

إلى سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دام عزّه)، الرجل الذي لم يدّخر جهدًا ولم يلن عزمه، فكانت كلماته، وتوجيهاته وقود هذه السردية. ولولا رعايته لهذا المشروع الكبير ودعمه، لما تجسدت الرواية بهذا الشكل.

إلى الشيخ علي القرعاوي، مدير مركز بيِّنة للأمن الفكري، الذي نذر نفسه لتوثيق هذه المرحلة العصيبة بكل أبعادها، ليبقى التاريخ شاهدًا على الحقيقة.

إلى «أمواج»، الرفيقة التي صاحبتني طيلة خمسة وأربعين يومًا، متنقلةً بي بين لهيب المحنة وسكينة الأمل، حتى غدونا روحًا واحدة تنبض بالحقيقة.

قربة مثقوبة

منذ اليوم الأول الذي وصلت فيه «موج» إلى هذه المدينة الهادئة كصبيحة شتاء بارد، وهي تحاول أن تلملم أطراف الحكاية، على الرغم من أن محاولاتها تلك، يشوبها الخوف والتردد، فالذاكرة أحيانا تتحول إلى سكين حاد يتسلل إلى الارواح، ويقطع عند ولوجه فيها كل أواصر السكينة.

اعتادت أن تغادر سريرها الذي يخلو من الأحلام إلاّ بمحطات القطار وضجيجها، وشعورها بالخوف وهي تزّم على حقيبتها اليدوية بكل ما أوتيت من قوة، تتحرك عيناها في كل الاتجاهات . خلال لحظات قليلة، تصعد بقدمها اليمنى نحو القطار، ثم تستيقظ مفزوعة على دويّ انفجار، تأخذ معطفها الذي لا تدري ما العلاقة التي تجمعها به، ولا تعرف شيئا عن قصته هو الآخر، لا تشعر إلا بغبطة الرضا التي تتلبسها حين تُسدلُهُ على كتفيها الهزيلين، حاولت أن تتلمس خيوط الصوف المحاكة بطريقة مربعات صغيرة ودقيقة جدّا، وهي تسيّر أصابعها

باتجاه سير تلك المربعات مرارا وتكرار، صعودا ونزولا، تعصر على حاجبيها، تزّم على قلبها ، ثم لا تجدُ شيئاً إلا الفراغ. نسيَتْ موج من أين أتت بهذا المعطف، حاله كحال عائلتها التي عرفت قصتهم المأساوية من ألسنة الأخرين.

تخرجُ كل يوم تُحصي الأزقة القريبة من مسكنها الجديد، تسيرُ مكثّفةً النظر على الحيوانات المارة، ووجه الشخوص السائرين بحالات مختلفة، ما بين عجُولٍ ومسترخٍ، ومُتأنٍ حزين ومبتهج وما بين آخرين غادرتْهم الذاكرة ،فتداخلت ملامحهم حتى ضاعت تعبيراتها، تسير محاولة بأن لا يرتد بصرها، ومع أنَّ كل الذكريات المرتبطة بمدينتها وأهلها قد انمحت ذات لحظة من رأسها الموشوم بالدوران، غير أنَّ شعور الخوف والترقب مازال معجونا بروحها الهشة، كذاكرتها.

جلسَتْ على قارعة الطريق، تتوسط أحد خيوط الشمس النازلة بحياءٍ من سماء المدينة، حاولت أن تُمسك بتلك الخيوط الخجولة ، حرّكت أصابعها في داخل ذراتها المتناثرة كرقصة تتمايل مع بركان ألم، لمح في ذاكرتها المُتعبة، شباكا خشبيا مفتوحا، تنسدل منه أشعة الشمس على شعر طفلة صغيرة، تلعب في غرفة

مبهمة التفاصيل، ولا شيء من ملامحها إلا جدائل ذهبية.

لا شيء جديد ما زالت على هذه الحالة منذ أشهر طوال، وليس ثمة مشهد آخر يمر على ذاكرتها المعطلة، شعرت باليأس الشديد، ففرحت لبرهة في دواخلها المُشذبة بمعاول الرحلة القاسية، تحركت لتكمل طريقها المعتاد في ذلك الزقاق القديم، محاولة أن تغذي ذاكرتها الجديدة ببعض الصور المُنمقة عن الحياة، عبَرت إلى الضفة الأخرى من الزقاق لتقف عند البناية المُقّبَّبة بقبة رمادية اللون، غطت الحمائم شكلها الحقيقي، سمعت من المحيطين أن هذا المبنى يعود إلى آلاف السنين، وبعد البحث الجاد الذي أجراه المنقبوّن، توصلوا إلى زمن تكوّنها وتشكيلها، شعرت بمدى تعب أولئك المختصين، فالتنقيب ليس بالأمر السهل، فهي تمارس هذه العملية منذ شهور، تغربل أفكارها عبر فتحات الحجارة والجدران، عبر الأزقة والوجوه، تحاول أن تجد ثقب أبرة لتعبر منه إلى الجانب الآخر، ذلك الجانب المظلم، فكيف يمكن للفرد أن يعيش فارغا من تاريخه؟ فهي لم تكن تفتش عن الاسس فقط، كانت تجمع أي نسمة هواء تجرُّها نحو الشعور بشيء من الماضي، وتلصقها على جدار ذاكرتها البكر، اكتشفت في رحلة

الفراغ الذي تعيشه، كيف للإنسان أن يولد فنانا بالفطرة، يجتذب الصور من واقعه المتشكل بألوان من السعادة والعذابات، ويرش عليها من صبغة أفكاره، مكونا في داخله مُتحفا زاهيا بالفسيفساء، التي تبدو للوهلة الاولى وكأنها قطع غير متناسقة، ولكنه في نهاية الأمر يجد نفسه قبالة لوحة مليئة بالجمال، والتفسيرات العميقة، التي توصلهُ إلى ممر الحقيقة.

لفّت معطفها حول جسدها الهزيل، عازمة على العودة إلى مكان سكنها، عسى أن يُلهمَها طريق العودة شيئاً من الحكاية،أو خيطاً من نسيجها المتبعثر، صحيح أن المحيطين بها قد كرّروا عليها قصة استشهاد أهلها في نينوى، غير أنهم لا يعرفون تفاصيل الحكاية، فالقصة التي تناهت إلى سمعها من ألسنتهم كانت تصوّرُ عهدا سياسيا واجتماعيا مضطربًا، تتجنّب عن العاطفة التي تربطها بالأسرة، بتفاصيل أفرادها، توجهاتهم، أمنياتهم وطموحاتهم، ثمة حلقات كثيرة مفقودة، تحاول (موج) جاهدة أن تُلملمَ بقايا شظاياها، ربما لتخلق لنفسها تاريخا بطوليا، أو تاريخا جبانا، لا تعرف، فكيف يمكننها أن تتجاهل ردحاً من عمرها، ما بين وفاة والدها، وولادة ابنتها؟ ثمة انتقالة إلى عالم

آخر، وثمة حياة جديدة تنبض في نصف الحكاية.

جذَبَتْ نفساً طويلا ثم زفرت أنفاسها، وكانت فارغة هي الاخرى، تخلو من أي مسحة للحياة، فرحيل الآخرين وإن لم يكن محسوسا، ما أن تخطف بذاكرتها يشطرها الى نصفين متعادلين، من الوجع والفراغ، ولا شيء يُغريها في الاستمرار سوى شغفها بتقليب صفحات الذاكرة، كي تتزوّدُ منها شيئاً من القوت، ضربت الأرض بقدمها بشكل لا ارادي وكأنها تحاول نفض جدار الذاكرة وزحزحته من مكانه، لينطق بشيء ما، لكن لا شيء سوى دويّ الانفجار.

كيف لشخص ما أن يستعيد ذاكرته المفقودة، في مدينة جديدة، تتقطّع أواصر الشعور فيها، فالشوارع والأبنية لا تشبه تلك التي تربى بين حناياها، حتى الحدائق والطيور ..ايماءات المارين.. صخب المدينة وهدوئها، طريقة البيع والشراء، جريان الجداول، هدير الماء، يختلف وكأنّهُ ينتمي إلى أرضٍ أخرى، هي محاولة فاشلة للصعود الى رفوف الذاكرة التالفة، لكنها مازالت تحاول، مُدّعية في ذاتها أن الذاكرة رمقُ الروح، ولا بد لها أن تمرُّ في ممرّات جديدة كي تنطلق مجددا في ميادين البحث، باذلة

في ذلك روحها المضطربة، عادت «موج« وهي محملة بشعور اليأس والخوف، توقفت عن محاولاتها بالتذكر فتسارعت خطواتها للعودة الى مسكنها، ظهر أمامها أحدُ المحالّ التجارية الذي رسم على لائحة الاعلان الخاصة به جهاز نقال وأيقونة لأحد برامج التواصل الاجتماعي، فأحيا ذلك محاولاتها بالبحث مرّة أخرى، دخلت مسرعة الى ذلك المكان، جلست عند أحد أجهزة الحاسوب، فكتبت في الخانة الخاصة بالبحث اسم مدينتها:(نينوى)، جاءت نتائج البحث متعددة ما بين تاريخ المدينة والاخبار السياسية المتلاحقة التي ما زالت تتصدر قائمة البحث، دخلت الى الخيار الاول لتظهر لها صُورَ الدمار التي لحقت بكل جوانب المدينة، الاسواق الخربة، الجسور، جدران الأزقة، فاعتصر قلبُها مرّات عدة، فإذا كانت مدينتها قد تحولت الى كومة تراب، كيف لها أن تستمر في التنقيب عن ذاكرتها المفقودة بين هذه الحجارة المترامية الاطراف، والوجوه التي نسيت أهلها، كتبت اسم «شيفان«، وهو الاسم الذي تردد كثيرا على السنة الناس الذين نقلوا لها أخبار أهلها ،وقصة استشهادهم، كان حضوره دمويا، فظهرت لها قوائم لشخوص كُثر، ليس فيهم

من يحملُ تلك الملامح التي تجوب خيالها الركيك، فكل الذين ظهروا هم أشخاص أسوياء، الاول كان يرتدي قميصا أخضر اللون وبنطالاً من الجينز يظفر قدميه على بعضهما متكئا على جذع شجرة كبيرة، تظهر عليه علامات السعادة ،وهو يضمُّ يديه الى صدره، تجاوزتْهُ فظهر الآخر وهو يحتضن طفلاً صغيراً في حركة عفوية وهما يجلسان على حافّة منحدرٍ لجبل، ويبدو ان الصورة قد أخذت في فصل الشتاء، ملامح الشعور بالبرد تظهر على محياهما، فكرت كيف للشخص أن يختار صورته الشخصية، و ماهي الرسالة التي يريد أن يرسلها للآخرين من خلال نشر صورة له، فلا بد من أن تكون للصورة أهمية في دواخله، كأن يريد ان يقول مثلا، (أنا سعيد بعائلتي)، أو ربّما (أنا حزين)، أو (أنا ضائع)، لا أدري ولكن لا يمكن أن يكون اختيارها عشوائيا، تنقلت الى الخيارات الاخرى، لكن لا أمل في ذلك، إذ أن تلك الحقيقة كانت عصيبة.. كان مُلغّمة من كل الاتجاهات، تلك العصابات التي داهمت المدينة، جعلت حرجا في كل التفاصيل، حتى في شرب الماء وكيفيته، فكيف لا تقيّد التواصل الاجتماعي، فذهب أغلب الناس الى تسمية أنفسهم بأسماء مستعارة، رغبة

منهم في إخفاء شخصيتهم الحقيقية تجنبا للخطر، فتباينت الاسماء ما بين، (الطائر الجريح).. و(السماء السوداء).. (العين الباكية)..(الدمعة الحمراء)، وغيرها من الاسماء المشوبة بالألم والدم والخوف، عادت «موج« إلى زاوية اليأس مرّة أخرى، فما الاسم الذي اختاره أخوها الاكبر، كي يُخفي شخصيته، هي لا تتذكر طبيعته الروحية، ولا تتذكر تفاصيله، كيف لها أن تُخمّن، ما الاسم الذي يناسب حالته في ذلك الحين، والامر سيان على بقية أفراد الاسرة.

شخّصَ الاطباء حالتها على انها (فقدان الذاكرة التفارقي)، وهي حالة مرضيّة تنشأ بسبب صدمة نفسية ،أو حالة عصبية، ولا تظهر أعراضها مباشرة بل تستغرق بضع ساعات، وحالة (موج) هي نسيان الهُوية الشخصية، وتحتاجُ الى علاج نفسيّ مكثّف قد يستغرق بضع شهور حتى يعطي نتائجه، لكنها غير مستقرة حاليا ولا يمكنها خوض رحلة العلاج بشكل منتظم، فما زالت أوراق الاقامة غير مكتملة، وربما تتأخر لفترة طويلة نتيجة لوضعها العام وما صاحبه من فقدان بعض الاوراق الثبوتية.

جلست عند حافّة الشباك المُطلّ على الشارع المقابل لشقتها،

غريب أن هذه المدينة تتلبس حلّة ثانية في الليل، وتبدو أكثر دفئا من الصباح، يُحيطها الهدوء، وتشتعل الاضواء فيها بشكل منتظم ومحسوب، مشكّلة مهرجاناً لونيّا يَسُرُّ الناظرين، بالرغم من تشابك الأسلاك الحاملة لقناديل الإنارة، غير أنها تنتظم بصورة مبهرة في الليل، فكّرت موج في لو أن ذاكرتها كانت مبعثرة كتلك الاسلاك، لربما استطاعت أن تعيد ترتيبها، ولكنها في محاولاتها المتعددة لاستعادة الصور كي ترفقها بالشعور الدائم بالخوف، كانت جميعها محاولة فاشلة تشبهُ الّنفخَ في قربة مثقوبة!

تناولت الدفتر المنزوي على الطاولة، وراحت تكتب قصتها المفترضة، وفق احتمالات عديدة علَّ الحقيقة تكون واحدة من تلك الاحتمالات!!

الاحتمال الأول

السير جنب الحائط يقيك المخاطر

اسمي (موج)، أسمتني أمي بهذا الاسم لأنها تحب الماء، وتستمتع كثيرا بمشهد المياه، وهي تداعب قدميها بحركة واندفاع مختلفين في كل مرّة، اعتادت أن ترسم على وجه الماء أشكالا لوجوه وأمنيات مختلفة ظنا منها أنَّ الماء يغسل الهَمّ والعواقب السيئة ،ثم وبلا قصد منها جرّنا هذا الاسم وشغفها به الى أمواج وتقلبات مريرة ابتداء من وضعها العام الذي كان في البداية يشكل قلقا لنا جميعا حتى اعتدنا عليه، فكثرة الهواجس التي تنتابها، وكثرة الشكوك بكل المحيطين بنا، والذين يشكلون مصدرا للخطر حسب ما تعتقد، كانت الديباجة العامة لحياتنا اليومية ، من الصباح وحتى إيوائنا الى أسِرّتنا في نهايته، كانت تنشغل بالعمل المنزلي كثيرا، وكأنها تحارب شيئا ما في رأسها، تجرأتُ ذات مرّة وسألتها، ما الذي يشغلُ بالك يا أمي، لمَ غيَّر

الحزنُ والخوف ملامحك، قالت، وهي تهمسُ حذرا من شيئ لا أراه، (في رأسي مئةٌ يحكون ألف فكرة، ورأسي صغير جدا، يحتاج الى فتحة تهوية)، ضربت على رأسها بيدها، وغادرت لتكمل أعمالها.

كيف للذاكرة أن تصبح ملتاثة هكذا؟ كيف لأمّي أن لا تميّز ما بين الوهم والحقيقة، وان تتشابك الاحداث في عقلها لهذه الدرجة، فنحن عائلة معروفة بالذكاء والفطنة، كانت المعلمة تخبرني دومًا أن لي ذاكرة حيّة، بإمكاني استثمارها في ميادين الابداع، وهي من دون شك جاءت وراثة من أمي وأبي فهما الاثنان على درجة كبيرة من القدرة على الحفظ والوعي بكل ما يحيط بنا من صغيرة وكبيرة.

دأبت أمي في أن تنشغل كثيرا للحد الذي يطغى فيه العمل على التفكير وهي مهمة ليست بالسهلة، فحين يقترب موعد العام الدراسي، تبدأ بحياكة المعاطف لنا جميعا، وعلى الرغم من أن أخي لا يرتدي ما تحوكهُ له لكنها لم تكلَّ يوما من هذا العمل حتى بعد أن كبُرنا وتخرّجنا من الجامعات، وضعت المعطف على كتفي غير آبهة لتناسقه مع ما ارتدي من ملابس تحته، وقالت

تذكري جيدا، ان السير جنب الحائط يقيك المخاطر، اعتدت ايضا على هذه الجملة فهي تكررها معنا جميعا وفي كل يوم حتى صارت فارغة المعنى، وعديمة الطعم لدينا، حتى اننا كنا نعترض لتكرارها، لكن حتى اعتراضاتنا تلك تنازلنا عنها مقابل اصرار أمي على تأكيدها، ومن جانب آخر كنت أشاهد أخي الاكبر «خاندان» وهو يخرج الى عمله صباحا، يمشي متجنبا السير في منتصف الطريق ،أو على جانبيه بل يسير بجنب الحائط، واذا ما وصل الى نهاية الشارع الذي يخلو من البنايات المحاذية، يعقف كلتا يديه الى صدره، وكأنه يصنع جدارا لنفسه يقيه الخطر.

يعمل (خاندان) في صناعة الخشب، فعلى الرغم من تفوقه في كلية الهندسة وذكائه غير أنه لم يجد فرصة للعمل في دوائر الدولة، وقد شغف بالعمل في صناعة الخشب، على حسب ما يحب أن يُسميّها، فهو يجد نفسه صانعا ممتازا لكل قطعة خشبية تخرج من تحت يده، يبذل جهدا في صناعتها ،وكأنها آخر قطعة ستخرج باحترافية من تحت يده، ويبقى ينظر اليها بغبطه حتى آخر نظرة يحظى بها عند مغادرة القطعة الى كيس الشخص الذي ابتاعها، اعتدنا على خاندان هادئا وساكنا في أغلب الاحيان، لكن ملامحه

كانت رجولية فذّه، كان والدي يناديه نبيل، وهو معنى خاندان، فقد تعلّق والدي كثيرا بالشعر العربي وباللغة العربية وجمالياتها، فكانت شهيته تنفتح للحديث حين يتكلم أحدهم عن اللغة بشكل مباشر أو غير مباشر، فيتلقف أطراف الحكاية ليصنع منها حديثاً طويلاً مُعمّقاً عن جماليات اللغة العربية وإعجاز القرآن الكريم، وقد تعلّم منه خاندان هذا السياق ولكن على نحو مغاير قليلا، فقد اعتدنا ان يأتي خاندان من عمله، فيسارع بخطوات هادئة حتى يصلي ويبدأ بتلاوة القرآن الكريم بشغف، وكأنه يستكشف جماليات أحاديث والدي الطويلة ويرش على تعبه ماء الارتياح، وهو بوعيه ذاك ،واعتداله الدائم كان مصدر الراحة لوالدينا، فلم يحملا همَّهُ يوما، فهما يعرفان جيدا أنَّهُ شاب متّزنُ الخلق والافكار، يعرف كيف يجاري المجتمع الخارجي ويتجنب المشاكل بحلمه وفطنته ودماثة خُلقه، وأنا لكثرة ما أراه تكّونت عندي صورة نمطية عن شخصية خاندان القوية والشجاعة، فكنت أسير بجانبه وأنا أشعر بالأمان المطلق، لأنه نبيل الذي يعتمد والدي عليه في أغلب احتياجاته، ولكن... في تلك اللحظة التي سمعنا فيها بدخول الرايات السود الى نينوى، بدأ خاندان

بالذبول، كنت أظن أنه حمل على عاتقه أشياء كثيرة، ربما ب

عبؤنا، وعبءُ العمل.. الناس.. سير الحياة بشكل عام، مع أني لم أكن أشعر بهذا الخوف، فنحن عائلة تسير بجنب الحائط، وليس لدينا ما يجعلنا محط هجوم من اي جهة ظلامية كانت أو نورانية، لأنه نبيل ربما يرى ما لا أراه، لذا صار شاحب الوجه متلعثما في حديثه، متكسرا في خطواته، تخونُه ركبتاه في أية لحظة، فكنت على عادتي أراقبه من شباك غرفتي المطلّ على الشارع، يسير بحركة مرتبكة وراكضة، ثم ومن دون مقدمات يتلاشى اتزانه، فيوشك على السقوط لولا قربه من الحائط!

أما أنا فلم يشكل الامر عندي فرقا، كُنتُ مطمئنّة الى حدّ ما، غير أنني لم أسِرْ يوما ملتزمة بكلام أمّي بحذافيره، فأنا فتاة أعتَدّ بقراراتي كثيرا، وربما الحصة الكبيرة من الاهتمام قد أستأثرتُ بها أنا دون كوني الفتاة الوحيدة، ما أثَّر في شخصيتي بهذه الطريقة، فعلى الرغم مما يتناهى إلينا من أخبار حول وحشية العصابات التي داهمت المدينة وانها أوشكت الدخول الى المركز لم أتردد يوما في الذهاب الى الجامعة، مع أن أهلي كانوا يصرون على تخويفي وان أتنازل عن هذا العام وأؤجل دراستي للسنة القادمة، لكني

وبكل جديّة كنت أذهب صباحا وأضع عيني في مواجهة الشمس لفترات طويلة، حتى ان أصابتني الحرقة فيهما، ربما كان الخوف موجودا في داخلي، وفسرته بهذا التحدي، وربما لا أريد أن أرى نفسي بهذه الصورة، أنا رسمت لحياتي طريقا آخرًا، زهري اللون، كنت سأتخرج هذه السنة وبعدها سأعمل في مجال تخصصي، العلوم السياحية، سأزور الكثير من البلدان وأتعلم لغات عديدة، قائمة أحلامي مازالت قيد الاعداد، كيف يمكن لها ان تمزق؟ هذا الرفض الدائم ولد مني فتاة أصلب من الجميع، أقوى من أبي الذي بدأ بإطلاق لحيته، وخاندان الذي صار ينزوي كثيرا في غرفته، وأمي التي بدت عليها ملامح الانتصار، لان نبوءتها بدأت بالتحقق مع أنها نار ستأكلنا جميعا اذا ما نشبت، حتى انهم تنازلوا عن غيرتهم الشرقية المعهودة، وصاروا يتوسلون بأن أذهب لجلب الخبز مثلا أو بعض الاحتياجات من الخارج، وبطريقة غير مباشرة يحاولون زجّي في كل مهامهم المعتادة، ليس لانهم لا يخافون علي، بل لانهم أكثر عرضة للموت مني، وأنا كنت أشعر بالسوء والمرارة حينها، فحينَ بدأت المدينة تتشح بالسواد والصمت الذي تكسرهُ صرخات الجماعات السوداء، كان بيتنا

يقصف قبل المدينة، يقصف بصمت والدي المرير، وبهذيان أمي الذي أصبح كابوسا يقلقُ مضاجعنا، وجُبنِ خاندان الذي صار واضح المعالم يظهرُ بلا حياءٍ، أو تردُّد.

وبعد أن فُرض حظر التجوال في المدينة، صار مستحيلا ألاّ أتوقف عند ما يحدث، فالحياة صارت شبه معطلة، والجميع في ترقّب وخوف من القادم، ولم أدرِ أنَّ ذاكرتي ستلتاث بسرعة هكذا، بقُبحٍ وسوداوية، حتى بدأت ملامح الجمال التي تتأصل في ذاتي بالاختفاء تدريجيا. تسارعت الاحداث، وتوالت المصائب، وتراكمت في أرواحنا الهموم والغبار الاسود.

كان اليوم الثالث من حظر التجوال هو اليوم الاكثر فزعاً، فقد ذهبتُ كعادتي لشراء احتياجاتنا اليومية، ورأيتهم قد توزعوا في المنطقة بارتياح كامل، عيونهم تترصد الابنية والناس بشراسة ونَهمٍ للقتل والافتراس، يرتدون الملابس السوداء المتسخة بفكرهم العفن، تفوحُ منهم رائحة الموت لتنتشر في كل المدينة، ضاق نَفسي، ورجعت راكضة نحو البيت، وأغلقت الباب وجلست خلفها باكية وناحبة، فكيف يمكنني ان أستمر في السعي وسط هذه الوجوه المظلمة كليل ليس له صباح، سمعت الباب

الملاصق لبيتنا قد دُفع بقوة، وتعالت صرخاتهم، نظرت من ثقب الباب ووجدت ثلاثة سيارات كتبت عليها (لا تراجع)، سحبوا جارنا فؤاد، سحبوه بقوة وبشاعة، ولم يخرج من خلفه أحد، التزم أهله الصمت التام، وذهب فؤاد في غياهب السجون، حتى عرفنا في ما بعد أنه قد حاول الهرب، فرموه بالرصاص، ثم قطعوا رأسه وعلقوه على الجسر القديم لثلاثة أيام متتالية.

كان دخولهم بهذه الصورة الدموية قد ساعد عقولنا على توقُّع الاسوء، فلم يكن دخولهم هادئا ، ثم أوغلوا في الناس قتلا وتدميرا، وكان يدخلون القاتلين الذابحين المدمرين، بلا هواده.

أصبح خاندان منقطعا عنّا وعن العالم بشكل تام، صار شاحب الوجه لا يدري عما يحصل من تغييرات في الخارج، يصمُّ أذنيه عن أي حديث مخيف، يركض نحو غرفته عاقفا نفسه على نفسه، فقد من وزنه الكثير حتى بانت تضاريس أسنانه على جلد وجهه، وكأنه كبر مئات السنين، حتى انه صار أشبه بالمومياء الصارخة، حين تم الهجوم على بيتنا، مطالبين بخاندان الكافر على حدِّ قولهم، ركضت نحو غرفته فوجدته قد سبقني مرتجفا نحو أسفل السرير، تمدد تحته، وكنت أسمع طقطقة

عظامه وأسنانه، وهي تتخبط ببعضها البعض من شدة الخوف، حتى اني استجمعتُ شجاعتي في ذلك الحين من شدة خوفه، إذ كان عليَّ أن أتولى زمام الامور، ارتديت الحجاب، وجلست برتابة واتزان على سرير خاندان، دخلوا الى قلب البيت وكأنهم ريح عاتية مغبرة، تصرّفوا بعشوائية وعبثية، فتحوا الباب مرة، والثانية، والثالثة، ثم دفعوها بقوة حتى كسرت، تحرك قلبي من مكانه حينها، وتصاعد الخوف في جسدي ، لكني كنت مُصرَّة على ان أنقذ خاندان، وبأي طريقة، فبقيت متماسكة وجالسة بهدوء، مغلفة كل الخوف الذي يشع في روحي بشيء من البرود المصطنع، كسروا الباب، نظروا اليَّ، ماذا تفعلين، قلت، كما ترون، أجلس في بيتي، فصاح أحدهم، نادوا الى الاخت المفتشة، فدخلت امرأة ذات نقاب أسود لا يظهر منها إلا سواد عينيها، المتعطشتين للدم، اقتربت مني بأنفاسها الحارقة، وهي في شهية منفتحة لإيجاد أيّ دليل يدفعها لجرّي معهم، نظرت في وسط عيني، ما الذي تنخفينه تحت السرير يا كافرة، حينها ولا أدري لماذا، خيل لي أن خاندان قد مات، فهو بكل تأكيد لا يمكن أن يتحمل هذا المشهد الصارم، جرّتني محاولة منها لكي أتحرك

من مكاني لكنني رفضت، فازدادت حدّة، وأمرتهم أن يجرّونني متناسين حُرمة الامساك بامرأة، وهذه الحُرمة هي التي وظفتها لتكون مفتشة!!

اخرجوا خاندان وهو بكامل هدوئه، أخذوه دون مقاومة منه، ولم ينبس بحرف واحد، وكأن عاصفة الخوف التي كانت تعتريه، حان وقت سكونها، فلا فائدة من الشعور بأي شيء بعد هذه اللحظة العارمة بالموت.

وفي لحظة غير محسوبة، وغير متوقعة، عادت أمي الى رشدها في ذلك الحين، بدت متماسكة وواعية للحد الذي أذهلني، وقفت بمواجهتم، وقالت، لا أعتقد ان خاندان كافر، هذا القرآن الذي يتلو به آيات الله، وهذا مكان صلاته، خاندان ابني شهم ويعرف الحدود جيدا، تفضّلوا بالجلوس وسأعدُّ لكم بعضا من الكُبة الموصلية، تهامزوا فيما بينهم بابتسامة خبيثة، أظهرت نيتهم المبيتة، التي أدركتها سريعا، لكن أمي بقيت محافظة على صوتها الهادئ وهي تذهب بخطى راكزه نحو المطبخ، جرّوا خاندان، وقال أحدهم بصوت هازئ، جهّزي الكبة، سنعود مساء ومعنا خاندان ابنك المسلم.

وعلى الرغم من أن خبر اعتقال خاندان صار معروفا للجميع، وتقبله الجميع، حتى أنا، إلا أنَّ أمي بقيت مستمرة منذ ذلك اليوم وبعد مرور أربعة أشهر على الحادثة، وهي تصنع الكبة، وتعلبها بترتيب وعناية تامّة، على الرغم من أن الحياة باتت أصعب ونحن نعتاش على المساعدات الخارجية في كثير من الاحيان، ولكنها مازلت تجهز الكبة مقابل عودة خاندان، حتى تحولت الكُبة الى مشكلة لا أعرف كيف أتعامل معها، فالكميات الكبيرة التي تصنعها ملأت البيت بغرفه جميعها،ولا سيما غرفة خاندان، التي تحولت الى رزم من الكبة المتعفنة والتي ترفض أمي أن أتخلص منها بأي شكل كان، حتى اني ولمرّة كرهت نفسي كثيرا، ففي أحد الصباحات نزلت الى المطبخ، ولم أجد أمي وهي تتوسط المطبخ وتوزع حولها، مكونات الكبة، كان المطبخ هادئا وباردا، ذهبت ووجدت حرارة أمي مرتفعة، للحد الذي جعلها غير قادرة على الحركة، فقلت في نفسي، سيوفر علينا هذا اليوم كميات زائدة من الكبة!!!

ضربت رأسي بالحائط، تعسا لكل ما نمرّ به من مفارقات، كيف لي أن أفرح بمرض أمي هكذا؟ ثم وكأن الله أرسل لي

العقاب جاهزا، أو ربما أراد أن يُنهي معاناتي مع الكبة بطريقة أتمنى فيها أن أختار أزمة أمي ، خير مما رأيته في ذلك الصباح.

طُرقت الباب بطريقة همجية، مرعبة، فخُيّل لي أنهم قادمون لأخذ والدي، وتزاحمت الاحتمالات في رأسي بشكل سريع،أمي وحالها،خاندان، أنا، ذهبت وقدمي ترتعشان، فتحت الباب بعد انتهاء الطرق الهمجي، فوجدت خاندان وهو يجلس متكأ على مصراع الباب، خاندان، ذلك الوجه الأبي، الرجل الشجاع، المبتسم ابتسامة المؤمن المتيقن، ذلك الشاب مفتول العضلات، صاحب الطلّة المُهيبة، تحول الى كومة عظام وخوف، حاولت أن أسنده على كتفي، رغم معرفتي بعدم قدرته على المشي، ومعرفتي بأني سأضطر لحمله، لكن كيف؟ أنا أحمل خاندان؟ حملته بكلتا يدي، كأنه طفل رضيع، وبقيت متسمرة في مكاني، كان الهواء باردا قويا جعل الحجاب الذي يغطيني ينسدل على وجه خاندان ويغطي بعض من ملامحه، ظهرت عينه اليمنى وهو بالكاد قادر على فتحها بخجل وتعب، تذكّرت حين كان خاندان يحملني على ظهره، ويركض بي في هذا الشارع، الذي انتُزعت منه الحياة وبقيت آثارها على الجدران، كنت حينها أضحك عاليا، وكلما

تزايدت ضحكاتي، زاد خاندان في سرعته، وأعاد الركض مجددا دون ملل، كان يستمتع بضحكتي، واستمتع بكتفيه، وكأني أطير على ظهر نسر، ويداه اللتان تزمان على يدي بشكل محكم كأنهما حزام أمان، سقط الحجاب عن رأسي، وأنا مازلت أقف على عتبة الباب، وأفكر كيف سأدخل به الى أمي وهو بهذه الحالة، ومن أين لي بهذه القوة؟ ولا أدري متى سأسقط مغشيا عليّ؟ ثم أعادني خاندان الى رشدي، أستجمع قوته الفارغة وأومأ اليَّ هامسا (الحجاب) بخوف وإرتعاشة لم أرَ مثيلتها، دخلت مسرعة وأغلقت الباب بظهري المكسور وجعا، ونظرت الى بيتنا من الداخل، ورأسي قد فرغ من أي فكرة...

ارتديت الخمار، بلا خطة واضحة، كانت الشمس قد بدأت بالغروب، ذهبت الى صديقتي من أيام الاعدادية، كنا قد درسنا معاً في اعدادية السلام، قُبلت حينها في كلية الطب قسم طب الاسرة وذهبت أنا الى كلية العلوم السياحية، لكننا لم نكف عن التواصل، فنحن كُنا في الحيّ نفسه، والمجمّع نفسه الذي ضم كلياتنا مع تباعد المسافات، لم يخطر في بالي أحد غيرها، ليرى خاندان،في هذه الحالة مع اني لا أتخيّل ردة فعلها الجديدة، فبعد

الاحداث السوداوية، لم تتغير المدينة فقط، ولا حُكامها، بل حتى الناس أصبحوا غرباء، وصار لزاما عليك أن تتعامل معهم وكأنك تتعامل معهم لأول مرة.

طرقت الباب ورفضها لي كان أول احتمال يدور في خلدي، وكنت أرتب الحديث بصورة تسلسلية، بحيث يمكنني من اكتشاف لو انها قد انضمت إلى الجماعات السوداوية أم أنها ما زالت كما عهدتها ،مع علمي المسبق بصعوبة أن يبقى المرء في مثل هذه الظروف كما هو، ولا ريب في أنها تتملكُها مخاوفي نفسها بكل تأكيد، ولا أدري كيف سيجري الحديث، ومن اين سأبدأ بإمساك خيط الثقة الذي يوفر لي ولها مساحة أمان.

طرقتُ الباب، وجاء صوتها المرتجف من بعيد، مَنْ؟ قطع صوتها سلسلة الافكار في رأسي، واجبت، أنا موج، فتَحَت الباب وهي ترتدي الخمار، لكني لم أجد صعوبة في معرفتها، ذات العينين الواسعتين كسعة حزن المدينة، ذات اللون الاسود القاتم، وذات الاهداب الطويلة والكثيفة كغابات الموصل،التي كنا نتجول فيها في مرحلة الإعدادية، ونحن نحفر أحلامنا على جذوع الاشجار هناك، ونكتب اسمينا تحت كل أمنية،رفعت

النقاب، كي أبرز هويتي، فأومأت لي بالدخول، دخلت وعادت المخاوف الى رأسي مرة أخرى، لمَ هي ساكتة؟ هل سأخرج من بيتها سالمة؟ هل ستسلمني الى الجماعات الارهابية، بتهمة كتابة الشعر الغزلي على جذوع الاشجار؟ لا لا يمكن كانت شريكتي في تلك الجريمة.

رفعت النقاب وكان جمالها ما زال صامدا أمام شحوب الحياة،رحبت بي بهدوء وركازة، صمتنا لبرهة، ثم قلت كيف حالكم، قالت الحمد لله بخير، ثم عاد الصمت مرّة أخرى، استجمعت قوتي وقلت، خاندان، مريض، ولم يأتِ في بالي إلا أنت، أريدك أن تعاينيه، قفز الدم الى وجهها كبركان أحمر، وأشاحت بنظرها الى الارض ثم الى السقف ثم اليَّ، خاندان؟ لم يكن مسجونا؟ كنت سأخاف من ردة فعلها الضبابية لولا علمي بأن هناك مشاعر سابقة كانت تكنها لخاندان، فالحب هو ذلك الشيء الذي يتعدى المنطق، والحدود، وحتى القناعات الراسخة تتهدم أمامه بسهولة وتذوب، هو المطرقة التي تُعجن تحتها كل القوانين، فهو مُحاط بهالة من الصدق والقداسة، فعلى الرغم من أن الحالة التي بيني وبين (ميار)، هي حالة مرتبكة، ولا يمكن

زجَّ أي حديث آخر، غير أني قلت، الحب هو الذي دعاني لطلب مساعدتك، فقد قرأت قديما لسقراط «ان الحب الذي ينتهي لا يمكن أن يُعد حُبًا وهذا ما يعطيه القداسة« قلت ذلك مع احتمالية قطع رأسي بعدها، لكن... اطمأنت ميار، وخرجنا معاً تحت ظلال الليل ذاهبتين الى خاندان.

مازال خاندان يشعر بالوهن والعجز، وتضافرت مشاعر الخجل بالظهور على وجهه المكتظ بالعظام البارزة، فما مرَّ به من ويلات لا يعادل شيئا من موقفه الان، أن يكون بكل هذا الضعف بين يدي محبوبته، ربَّتُّ على كتفه محاولة مني في أن أخبره، لا بأس كل شيء على مايرام، بينما كانت (ميار) مستمرة في الفحص السريري لخاندان.

أخذنا شيئاً من دمه، وذهبنا لإجراء التحاليل التي طلبتها، كانت تمشي بخطوات ثابتة وتعرف جيدا الى أين تذهب، راودني الشك مجددا، فهي تمشي بطريقة مدروسة، ولا يراودها الخوف والتردد حين نمرُّ في نقاط التفتيش، وصلنا الى المستشفى، واستلمنا نتائج الفحوصات، وكانت المفاجأة التي لم أكن أنتظرها وأتمناها ... خاندان، مصاب بالسرطان، وهو في مراحل متقدمة

من المرض، لم أتمالك نفسي، ولم أعد أكترث لصوتي الذي بات مرتفعا في أرجاء المستشفى، حاولت (ميار) أن تتدخل، وتكمم فمي، لكني وبطريقة هستيرية، نزعت النقاب عن وجهي وصرت الطم على خدي، لاعنة السواد الذي حلَّ على رؤوسنا، وبينما كانت عيناي تنهمران بالدموع والدم ، رأيت (ميار) وهي تشير بيدها الى أحد الحراس والذي كان يحمل بندقية على ظهره، بشعره الاشعث، فأومأ اليها باحترام بالغ، تقدم نحوي وضربني على رأسي بطرف السلاح، وآخر مارأيته حذاءه الاسود الطويل وهو ملطخ بطين نينوى.

تواً أدركت، بأن الظلام، حين يتسلل الى القلوب، يفقدها البصيرة، وتنطمس كل معالم الضوء في الروح، فتغلق كل انفاق الضوء، ليغدو الصباح عقيما عن توليد أشباهه، لم يجلب الحب ميار، بل جلبتها روحها الجديدة المغلفة بالحقد، وكأنها انتزعت كل حنايا وشغاف قلبها، أبدلت الحب بثوب آخر، وقد لاثَ روحها السابقة دخان أسود، صار ملتصقا على جبهتها البيضاء كوشم أبدي.

صحوت وأنا مرمية على الارض، في غرفة صغيرة، بابها

أبيض، وحافتها السفلى ذهبية مخدشة، وكأنني ما زلت في أرجاء المستشفى، نهضت ومازالت الاوراق في يدي، نظرت وتذكرت المصيبة من جديد، خاندان.. أمي .. والدي ، الذي صار عاكفا عن الكلام والحركة، طرقت الباب، وجاءني أحدهم، نظر الي بنظرات باردة، وبطريقة مخيفة، كأنه يتعطش لأي حركة، كي يرسلني الى الموت بلا تردد، سحبني بقوة، وأخرجني الى باب المستشفى، كي أذهب وأشهد اعدام أخي، قبل فوات الاوان، لا أدري أي قوة حينها جعلتني أبقى واقفة على قدمي، وأي أفكار تدافعت الى رأسي، خاندان، المرض، اعدامه، كيف للقسوة أن تنمو هكذا في روحي الهشة، كي أبقى قادرة على السير، متجهة صوب الساحة القريبة من البيت، كان الناس قد تجمعوا في دائرة، تسللت من بينهم وكأن جسدي انتزع كل الماء المتبقي فيه، شعرت بأن جلدي صار يرفض البقاء على لحمي، وشعري صار ينتفض خوفا، شعرت بأني أنفصل عن ذاتي مع كل خطوة أمشي بها نحو النقطة التي يتجمع الناس حولها، صرت في المقدمة، وكان خاندان مصلوبا على الحائط، لا يقوى على رفع رأسه، خاضعا بكل ما في الارض من خضوع.

صاح قاضي الدم، وهو يعتلي منصة سوداء تكفي كي يقف عليها شخص واحد، صاح بعد أن تلى آيات من القرآن الكريم، لا أدري كيف وظفها ضد خاندان، مُعلنا في نهاية الخطاب، بأنه سيعدم رميا بالرصاص على ذات الحائط الذي كان يعبده، فقد شهد عليه ثلاثة شهود، رافعا يده مشيرا الى الجهة اليمنى، وقد أصطف الشهود الملثمين بصف واحد، يرفعون رؤوسهم، تباهيا بالشهادة على كفر خاندان، مكملا خطابه، بأنه لم يكتف بصنع التماثيل من الخشب،غاية منه في عبادة الاوثان والترويج لها، غير أنه كان يلتصق بالحائط كل صباح كي يتبرك به، قبل ذهابه الى عمله، وقد شوهد مراراً وتكراراً يقدم على هذا العمل المُشين، أمر بتنفيذ الحكم، رشق خاندان بالرصاص، دون أن يرفع رأسه، وهمست أنا «لا يا أمي لم يقينا السير مع الحائط شر المخاطر«.

الاحتمال الثاني

الخسفة

أنا فمٌ مفتوح، وهاوية كبيرة تضرب بها الامثال، وجبة شهية يلوكها الشعراء، أنا معدة يأتيها الطعام بلا مضغ، أنا حفرة كبيرة ، أسموني خسفة، لا أتذكر جيدا وقت ولادتي، وهل جئت الى هذه الارض، صغيرة ثم كبُرت مع الوقت، أم أني كبيرة منذ البداية، وهل كنت سابقا أتذكر تاريخي، وبعد شيخوختي هذه نسيت، أم أني لا أدرك أصلا، على كل حال، غادرت هذه التساؤلات منذ فترة طويلة، فأنا الان في حيرة أكبر، فبعد هذه السنين الطوال التي عشتها ها هنا، أتعرف في كل يوم على ذرات رمل جديدة، تحكي لي قصص وأخبار المدن المجاورة، ثم تذهب مسرعة لإكمال طريقها مع أول عصف هواء، تغيّر الحال عندي، ولم أكن أحظى بزيارات كثيرة، إلا من بعض الحجارة المندفعة نتيجة الهواء، أو بعض الانزلاقات التي تصيب الطين المجاور لي، أو من بعض العُلب

الفارغة والاوراق المرمية على حافة الطرقات، والتي يسوقها الهواء الى جوفي، فتسقط منسية حتى تصبح جزءا من ذراتي، لم يكن الامر يتعدى، أن يأتي بعض الجماعات ليستطلعوا من بعيد، شكلي، وماهيتي، يضعون الاشرطة الصفراء حول خصري الذي يسع مدينة، محاولين وضع قياسات دقيقة لعمقي وطول قامتي، لكنهم في كثير من الاحوال ينتهون بالخلاف، ما بين طول وعرض، وما بين تاريخ قديم الى آخر حديث، يتجادلون، يصرخون، يهدأون، ثم يذهب الجميع، وأبقى أنا أنظر الى جوفي الكبير، الذي لا يشبه أي تخيل من تخيلاتهم، ولا يقترب من أي احتمال من احتمالاتهم.

حتى تلك الليلة، وبينما كانت المدينة تعلن استسلامها لسكينة الليل، نزلت من السماء بالقرب مني مجموعة من الاضواء، بألوان متعددة، الابيض، والاخضر، الازرق، وتوزعوا بأعداد كبيرة حولي، تقدم أحد الاضواء وهو أكبر حجما من الجميع، اقترب مني، ونزل ببطئ الى جوفي، ثم دون أن أرى ملامحه، خرج صوته كالهواء، لكن لغته كانت مفهومة بالنسبة لي، رغم عدم علمي بأنني أفهم لغة الهواء هذه، أو ربما لغة الضوء لا أدري، خرج

الهواء من صدر الضوء مارًا بسمعي، بأننا سننزل في جوفك ثلاث سنين، والان حان دورك الذي خلقت من أجله، لم أكن أعلم بأن لوجودي هدف ما، ولم يكن لي خيار آخر إلا القبول، فأنا لا أمتلك أطرافا تساعدني على الحركة، وكل ما يمكنني هو أن أهتز جزعا، فأحرك ما حولي من طين وتراب وحجارة، ولا أشعر اليوم بحاجة إلى أن أنتفض، بل نزلت السكينة الى جوفي بشكل مبالغ فيه.

نزلوا بتوافد هادئ الى جوفي وتوزعوا من أعمق نقطة في حتى حافتي العليا، مشكلين سلسلة من الضوء، وحزام يلفني بشكل محكم، ترابطت جزيئاتي مع تلك الاضواء، وصرت أشعر بأن أزري قد شُدّ لأول مرة.

لم يمر كثيرا على اكتمال السلسلة وترابط جزيئاتها، حتى سمعت هديراً جعل ذرات الطين المكونة لي، في حالة ارتجاف وذعر، لكن سلسلة الضوء زادت من قوة تماسكي، تقدمت نحوي مجموعة من السيارات كما يسمونها، وكانت ملطخة باللون الاحمر القاني، نزلت مجموعة منهم، وسحبوا الجثث المتراكمة فوق بعضها البعض، بطريقة عشوائية، ووحشية، لم يكن

بمقدوري أن أتحملها رغم أني من تراب وطين، جروها نحوي بعضها مقطع الاوصال والبعض الاخر بلا رؤوس، كانوا يجرّون الجثثْ ويرمون بها الى صدري، وكانت سلسلة الضوء، تتلقف تلك الجثث بروية وتصفها بطريقة مرتبة، وكلما زاد عدد الجثث شعرت بأن فوهتي تكبر، وتتمدد، وشعرت بأني أصبحت كونا كاملا، على الرغم من أن ما يحدث في داخلي من مشهد نوراني مبهر، إلا أن ضحكاتهم المتعالية حولي وهم يرمون بتلك الجثث، كانت الاكثر تأثيرا ووجعا، فأنا لم أر مثلهم سابقا، كل الذين مروا بقربي كانوا لا يشبهون شيئا من هؤلاء، حتى حوادث القتل التي كانت قليلة جدا على مدى العصور التي عشتها، لم تكن تشبه شيئا من هذا المشهد، فمرة، وصل اثنان بالقرب مني، وصارا يتنازعان في ما بينهما، اشتد العراك، وكانت الغلبة لمن يستطيع ان يرمي الاخر في جوفي، وكلوني قاضيا على غير رغبة مني، ورغم أني استغرب هذا المشهد كثيرا، غير أني اضطررت في ما بعد، أن أتمدد قليلا وأجر المخطئ الى جوفي، وحينها كان الرجل الآخر قد ذُهل، وكأنه كان غير جاد في قرار قتل خصمه، فبعد أن وقع خصمه في جوفي، صار يزحف الى الوراء خائفا مرتعبا، يضرب

بكلتا يديه على خديه ورأسه، ويصرخ صرخات متقطعة مرتجفة، فزاد ذهولي وتقلصت مساماتي، حتى اصبحت صغيرة جدا، بحجم كف اليد، ثم هرول مسرعا الى أبعد نقطة عني، اما هؤلاء، فهم يأكلون بيد، ويسحبون الجثث من أي منطقة تسقط أيديهم عليها، يضحكون، يتحدثون، يتمازحون، حتى صارت هنالك خرائط من الدم حولي وتمتد لامتار عني، ثم حزموا أشياءهم، وذهبوا بدويّهم بعيدا، لكنني أيقنت أنها لن تكون المرة الاخيرة.

الصدمة تجعل الاشياء صامتة، جامدة، لا يحركها حنين، أو حزن، ولا حتى عصف ريح باردة، الصدمة توقف الزمن عند نقطة فارغة، لا يتخللها الضوء، او الهواء، او اي لون كان، وليس لأنني حفرة، هذا يعني أنني عديمة الشعور، بل على العكس، أنا مثلكم تماما، أشعر بكل مايحيط بي، واحاكم نفسي كثيرا، لكن ادواتكم في التعبير، تختلف عن أدواتي.

بقيت، متجمدة الذرات لفترة ليست بالطويلة، ذلك لان حزام الضوء، باشر بعمله حال ذهاب تلك الجماعات، فقد أنطلق من داخل جوفي ضوء متعدد الالوان والهيئات، وصعد كالماء المتفجر الى أعلى قمة في، ثم بزغت من بين خيوطه فراشات،

كثيرة لم أتمكن من عدّها، ولا من حصر أشكالها، فكانت أجنحتها تحمل من الالوان ما لا يمكن حصره في عدد، وما هو مدهش هو أن الالوان كانت لا تتكرر من فراشة الى أخرى، كونت تلك الفراشات دوامة كبيرة حملت كل الشهداء في داخلها، ورتبت أجسادهم المتقطعة الاوصال، وصاروا بحلة نورانية، ثم صففتهم في صفوف مرتبة ورسمت على وجوههم ابتسامة كبيرة يخرج من بينها، كلمات من نور، كانت كلمة النصر هي الغالبة بينها، ثم صاروا يصعدون الى السماء واحدا تلو الاخر، دون أن ينظر أحد منهم الى الارض، وكأنهم انتزعوا منها برغبة ملحة منهم، وما أن انتقلوا جميعا، حتى تمدد جوفي وجدراني، وظهر من داخلي شلال كبير، فغسل أجزائي كلها، ثم وبحركة خفيفة غير محسوسة اختفى كل شيء، واندمج حزام الضوء مع ذراتي مرة أخرى، فخلت أن الامر انتهى لهذا الحد، حتى سمعت أنينا متواصلا، يخرج من احدى زواياي، فوجدتها تجلس القرفصاء، تبكي بحرقة وخوف، وكأنها لم تر شيئا مما رأيت، كانت فاتنة الجمال، بيضاء ناصعة، ذات عينين كحيلتين، وشعر أسود منسدل كالليل الطويل، رغم تعثر الدماء فيه، وبالرغم من انها كانت

ترتجف بشكل ملحوظ، للحد الذي جعل ذراتي تتحرك من تحتها، غير انني حاولت أقرب بعضي من بعضها علي أساعد في تماسك جسدها.

غلبها التعب، ثم استفاقت لعدة مرات، وهي تنظر الى الاعلى ثم تصرخ باكية، عجزا منها في الخروج مني، وكنت أشعر بعجزها تماما فكيف لها أن تخرج من داخل جوفي العميق، هذه استحالة، فالسقوط في داخلي هو نقطة النهاية وليس ثمة بداية بعدي.

بقيت تقاوم لساعات عدة، لم يبرحها الخوف، ولا الارتجاف، ثم وبلحظة لا أدري الى أي طراز تنتمي، أخذت عصا صغيرة، لم انتبه الى وجودها مسبقا، وصارت تكتب على جدراني، وحينها نهض حزام الضوء مرة أخرى، وحول جدراني كلها، الى ورقة بيضاء، وتلك العصا الى حبر أسود لا ينفد أبدا.

كتبت اسمي .. موج ، استشهدت عائلتي منذ ساعات، وكان من المفترض أن أستشهد معهم، لكن رغبتي في الحياة كانت أكبر من استسلامي للموت، وبالرغم من انني كنت أدعي أن لا حياة بعد الذين نحبهم، غير أن لحظة الحقيقة تُفند كل الادعاءات،

فحين قتلوا أخي خاندان، رشقوه بالرصاص وهو مصلوب على ذلك الحائط، الذي عشنا طفولتنا نكتب عليه أحلامنا وامنياتنا التي أجهضت، كان ذلك الحائط قد انتمى للجماعات السوداء أيضا، فقد تكاتف ليحمل أخي خاندان مصلوبا، متهيئا للرشق بالرصاص، حينها صرخت أمي، وركضت نحو جثة خاندان المعلقة على الحائط، أرادت الوصول اليه، علّها تجد فيه نفسا هاربا من الموت، وصلت رفعت وجهه بكلتا يديها، حدثته، ها ياخاندان، هل وصلت الى النهاية، أم انك تدعي النوم، كما كنت تفعل حين كنت صغيرا، قم يا ولدي مازال في العمر متسع، قم ياحبيبي فالموت لا يليق بعينيك المتوهجتين بالحب، اسندني، فحتى الان لم أنلْ منك الا القليل من برّ الوالدين.

ثم أيقنّتْ أن خاندان غادرها، التفتت نحوهم وهم يلمون عناصرهم القذرة، ويتوافدون للذهاب الى مقراتهم، بعد أن أمر قاضي الدم، بأن تترك جثة خاندان معلقة لثلاث ليالٍ على هذا الحائط، ليكون عبرة لكل من تسوّلُ له نفسه بالخروج عن أحكام الدولة الاسلامية.

التفتت، وتقدمت بخطى متباطئة، كنتُ أعرف انها ستموت

بعدها، سواء بالقتل أو بالحسرة، لكني لم أتقدم نحوها شبراً واحدا، كان حرصي على حياتي أبلغ من أن أتقدم عليها، تقدمت ثم رفعت النقاب عن وجهها، فازدادت الصرخات بينهم، وتراكضوا نحوها، ثم خلعت العباءة، وكشفت عن رأسها المملوء شيبا وحزنا، وصارت تبصق في وجوههم واحدا تلو الاخر، ولا آدري حتى هذه اللحظة، من هو قاتل أمي لكثرة البنادق التي صوبت رصاصها نحو جسدها الهزيل، فسقطت بالقرب من خاندان وهي تمدُّ يدها نحو قدميه المبتلتين بالدماء، ثم وبحركة غير محسوبة، جروا والدي من على الرصيف، وكان ساكنا بلا حراك، لم تنزل من بنات عينيه دمعة واحدة، إلا أن جسده كان مغرورقا بالدمع والخوف، وجروني أنا أيضا، ولا أي حينها كمية الايدي التي تلقفتنا حينها، ثم رموني فوق جثة أمي، وانزلوا خاندان ورموه فوقي، وكان والدي أمامي، يسند وجهه الى الارض، وهم يدوسون بأحذيتهم فوق رأسه، ينظر الى بنظرة فارغة من أي شيء، وكأنه يخبرني بأنها النهاية.

ولا أدري مالذي جعلهم يجرونني معهم، رغم أني لم أنبس بحرف واحد، ثم صاروا، يجرون من بين الجموع كل من يشاهدوا

في عينيه نظرة حزن، وبطريقة هستيرية، يضربون الناس، ويجلدون النساء، ويسبون ويلعنون، وصارت الجثث تترامي فوقي، حتى لم تعد هناك مساحة للهواء، وصرنا جبلا كبيرا، ما بين نساء ورجال وصغار، ثم وقفوا حولنا بأسلحتهم المختلفة، وبإشارة لم أعرف مصدرها، رشقوا جبلنا بالرصاص دفعة واحدة.

فنزلت الدماء حارقة على جسدي، تنفث منها رائحة البخور، وماء الزهر، كانت كفيلة بأن تجعل جسدي دافئا رغم برودة الارض، ثم علا الصمت، وتوهج الظلام في أعتى حُلله، وصارت قطرات الدم الساقطة على الارض هي الاعلى صوتا في الكون.

استمرت موج بالكتابة، واستمرت جدراني بكونها ورقة بيضاء، كانت تكتب بطريقة سريعة وجنونية، وكأنها تحاول لآخر رمق فيها، بأن تجد نافذة للقفز الى الحياة، ولا أدري ما الذي جعلها تلجأ الى الكتابة، ربما لأنها الخيار الوحيد، بعد أن أصبح الكلام لا يجدي نفعا، ولكني رغم ذهولي، كنت أنتظر منها أن تكتب أكثر، رغبة مني في معرفة مايجري خارج جوفي الازلي، كان حزام الضوء، يرمم جروحها، ويدخل الى كل مساماتها، ويمدها

بالحياة، أدركت أنها لم تكن تعي وجود حزام الضوء حولها، ذلك لأنها لم تكن تنظر الى حركته حولها وفي داخلها، بل كانت مستمرة بالكتابة.

أكملت موج كتابتها، جاءوا ليلا، بسياراتهم الهادرة حقدا، ووحشية، وصاروا ينقلون جثث الناس، بسرعة وخفه، كأنها أكوام من الخشب أو من التراب، ويرمونهم في السيارات، وحين وصلت أيديهم اليَّ، تظاهرتُ بالموت، وكنت ساكنة جدا، ولا أدري ما الذي جعل جسدي يطاوعني بالسكون لهذه الدرجة، فالخوف أحيانا، يجعل الجسد تحت سطوته، فكيف صار جسدي تحت سطوتي ورغبتي في الموت المؤقت رغبة مني في أن لا أموت أبدا، سكنت جوارحي، وتباطئ نبضي، جروني مع جثة ثانية، وكنت مغطاة بالدماء تماما، رموني في السيارة، وكنت أدعوا في داخلي أن يرموا فوقي جثة أخرى، حتى أتوارى تحتها، أدركت حينها، بأن الجسد، والعقل قادران على التمدد، وصولا الى مناطق لا يمكن تخيلها، ومع أن المشهد كان دمويا، قاسيا، وكنت في قمة الترقب والخوف لمحطتي القادمة، غير أن الشارع الذي كنت أراه، من الفسحة الصغيرة التي منحتها لي الجثة التي احتمي

تحتها، كانت نينوى، تحمل ذات الوشاح، الحياة، والحب، البرودة الشهية على الابتسامة، شعرت للحظة أن الذي أمرُّ به الان ربما كان كابوسا، ثم أدركت، أن لا كابوس في فضاءات النوم، يمكن أن يحمل وحشية كالتي أعيشها الان.

طال الطريق المتعرج، والجثث تتراقص فوقي، رغم أن لا أحد منهم يمكن أن يراني، لكني بقيت متجمدة عن الحركة، رغبة مني في اكمال دور الموت بأكمل صوره، لعلي أجد متسعا للحياة في نهاية المطاف، ولا أدري ما الذي كان يحثني عليها، هل هو حب الذات ، أم الرغبة بالانتصار، أم شيء آخر لا أعرفه حتى الان.

لم يعد بمقدوري النظر، فامتزاج التراب مع الدماء التي مازالت تتساقط من الجثث التي تعتليني، جعل الرؤيا تبدو ضبابية، ولم أكن أمتلك الشجاعة لمسحه عن عيني، ما زلتُ ساكنة،وكأنني ميّتة بالفعل ، بالكاد يمكنني التنفس، وبطريقة محسوبة لئلا يشعر بي أحد منهم، وحينها سيكون قتلي بطريقة مفجعة أكثر من الرمي بالرصاص، لانهم حين يقتلون لا يحتاجون إلى حجج مقنعة، فكيف اذا توفرت لهم الحجة المناسبة كخداعهم

مثلا؟

ساروا بي نحو هذه الحفرة التي كنت أكتب على جدرانها، ولا أدري مالذي جعلني أكتب، ربما رغبتي في أن أحقق حلمَ الصغر أن أكون كاتبة معروفة، ولها أسمها الادبي، ربما لأنني أعرف مسبقاً أنني سأموت في داخل هذه الحفرة الواسعة، ولا أدري أيّ ذنب اقترفته، لكي أعيش الموت مرارا، فلو كنت قد تحركت حين رشقونا بالرصاص، لكنت وفرت على نفسي عناء الخوف، وصولا الى هذه الفوهة الباردة كالموت، وفي وسط هذه الجثث التي لا أدري كيف اعتاد نظري على منظرها المحزز بالدماء والاعضاء المقطعة اربا، كنت سأموت بشكل أفضل مما أنا عليه الان، لكن، مازال في روحي شيء من البياض.

رمَتْ موج العصا،أو القلم، لا أدري ماهيته، ثم نظَرت الى السماء التي ظهرت دائرية الشكل محددة بحوافي، اغرورقت عيناها بالدموع، ثم انسكب منها الدمع حارقا، فنزل الى ذراتي، وامتزج معها لتخضر الارض من تحت موج، وصار الزرع يكبر ويتنامى بطريقة متسارعة، ثم أنبتت نخلة من تحت ظهرها، وهي تستلقي، بعجز تام، تبكي دونما صوت أو أنين، لا تدخر جهدا،

ولا شعورا، غير التسبيح، فصارت تردد بصوت دافئ،«سبوح قدوس رب الملائكة والروح، سبوح قدوس رب الملائكة والروح»، وصارت ذراتي ترتعش معها، من دون أذنٍ مني، صارت تردد خلفها «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»، نهض حِزامُ الضوء بفراشاته، وتحول جوفي الى كفّ كبير يرتفع نحو السماء، ومازالت موج تردد ، «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»، حتى كبُرت النخلة التي تحتها، وتساقط الرطب من حولها، فأكلت منه حتى شبعت.

بعد أن غفت شبعت من الرطب، استيقظت و تناولت العصا مرّة أخرى...

حين رموني بهذه الحفرة، خِلتُ أن الموت لم يعد محتملا، بل صار قطعيا، فلا بد من سقوطي في جوف هذه الحفرة التي زرتها سابقا سقوطا مميتا، زرتها أيام المرحلة الاولى من الكلية، كان القسم في كليتنا قد نظم سفرة سياحية الى هذا المكان، بوصفه ظاهرة كونية مميزة، وقد تعددت الآراء والدراسات حول أسباب ظهورها، جئنا الى هنا بحافلة حمراء كبيرة، لم تكن تتسع لأحلامنا حينها، فقد أخرجنا رؤوسنا من نوافذ الحافلة، نستنشق الهواء

العليل، الذي جاءت به علينا غابات نينوى وبساتينها، نلم الهواء بأيدينا محاولين احتضانه، تتصاعد ضحكاتنا دون أن نكترث لغد ملوث بالقتل، ما كان بالحسبان.

نزلنا حينها بالقرب من هذه الحفرة، تعجبتُ لكبرها، وشعرت بالخوف من السقوط فيها، أنا أو أحد زميلاتي وزملائي، كان حينها (شيفان) مرافقا لي في كل الرحلة، لم يتعب من مراقبتي، ومن تصيُّد أيّ مناسبة كي يفتتح المواضيع معي، أو يجيب على الاسئلة حتى وان لم تكن موجهة إليه، كنت سعيدة، فشيفان هو الشاب الاكثر وسامة من بين شباب الكلية، طويل القامة، مفتول العضلات، له عينان، كبيرتان، مما جعلني حينها، آخذ ورقة على عجلة، وأكتب مقطعا شعريا باغتني حين كنا نقف على حافة الحفرة، أنا وشيفان، وهو يحذرني بشكل مبالغ به بأن لا تنزلق قدمي و أسقط، كتبت(عيناك واسعتان كقلب حفرة، وقلبي صغير كخرم ابرة) ثم قطع سلسلة أفكاري بسؤاله، ماذا تكتبين، فشعرت بأن حرارة ما تصعد الى خدي، ولم أجب بشيء مطلقا.

شيفان، ينحدر من عائلة ارستقراطية، وظهر ذلك على

ملامحه وإيماءاته بشكل واضح وجلي، فبدا كلامه مسطراً ومرتباً، حتى في داخل المحاضرات، كان لا يتلكأ في الاجابة، ويضع قدما فوق الاخرى، يرفع وجهه الى الاعلى حين يتحدث، ويقدّم صدره الى الامام، لا يضمُّ يديه الى صدره، بل يتركهما مفتوحتين، وكأنه قادر على تلقي أيّ سؤال آخر، يجيب بثقة عالية، مع بُعد الاجابة عن مضمون السؤال أحيانا...

ومع أن رفاهية العائلة يعززها من انتمائها العريق، الى الحزب الحاكم آنذاك، غير أنهم بعد السقوط، لم يتذللوا لأحد، وحاولوا أن يسدلوا على هزيمتهم وشاح عدم الاكتراث، فالجميع يعلم ان عائلة شيفان كانت تنهار داخليا،لكنهم بقوا بذلك العنفوان، من صغيرهم وحتى كبيرهم، وكأنهم جمعوا في غرفة واحدة واتفقوا على ذات الأداء، ولان العائلة اخطبوطية المعارف والعلاقات، لم ينلهم شيء من الاذى بعد السقوط، بل بالعكس، حاولوا التوغل في الحكومات الجديدة وبالفعل تمكنوا من ذلك جيدا، وحصل أخوتَه على مناصب في وزارات مختلفة، بينما بقي والده على شموخه وعجرفته رغم النكسة الكبرى بسقوط نظام صدام المقبور.

غير أني كنت أستبعد شيفان من كل تلك الحسبة فقد كان صغيرا حينها، ولم أكن أشعر بانتمائه ولو بشكل بسيط الى فكر البعث، بل وجدته متجاوزا للمرحلة بشكل تام.

كنا نمثل ثنائيا جيدا ولافتاً، وكأننا خلقنا لبعضنا، فهو بهذه الشخصية المتزنة وانا بهذا الجمال والثقافة، كانت حياتنا ستبدو مثالية كما نتصورها.

تحركنا الى المنطقة المحيطة بالحفرة، كانت فارغة تماما، وكأن الحفرة ابتلعت ماحولها، لو أني رميت نفسي حينها، أو ربما لو انني رميت شيفان، لما استشهد خاندان، ولما استشهد أمي وأبي...

أسندت موج بالعصى اليّ، وأسندت بظهرها الى الجانب الاخر مني، للمرة الاولى أحاول أن أتذكر ملامح شخص ما، فحديث موج عن شيفان دفعني إلى أن أتذكر شكله، وأقارن ما بين الوصف الذي اعتمدته، شيفان الذي كان يقف يوما ما عند حافتي.

مرَّ بالقرب مني الكثيرون، ما بين محبين وأعداء ، أنقياء وأراذل ، ما بين كبار وصغار، كنت أشعر بالخزي لأنني متكشفة أمامهم، وان عملي الوحيد هو أن يستمتع الاخرون بالنظر

إليّ،كنت جزءاً من حديقة غنّاء على أطراف غابة كبيرة، حتى جاء هذا اليوم الذي تحولت فيه الى مقبرة، فأن تكون مقبرة، يعني أن تكون بوابة النهاية، وبداية لحكاية الشخوص الذين تحتضنهم، فلا أحد كالميت، يمكن أن يبوح بتاريخه، بصورة مفصلة، ويتعاطف الناس معه، مهما كان ذلك التاريخ، أن تكون مقبرة، أن تنهي كل فكرة، وكل ايماءه، تجعلها تندمج مع التراب، فتعود الى مكانها الاول، ربما لتنبثق مجددا، في عقل آخر، لكن لم يسبق لأحد، أن يفكر كما تفكر المقبرة، وأن يشعر بما تشعر به، ان يتقمص حالها، وهي تنبذ من شفاه الناس، ويخشاها الجميع، فلم يفكر بمدى العجز الذي يصيبها، حين تتلقف الجثث، وتحافظ عليها، أن تستقبل الاموات برحابة، وتمدد نفسها لجثث أكبر، لكني لا أمتلك تلك الرفاهية، فوظيفتي لحد الآن غير معلومة، ومهمّتي لم تنتهِ، فهل أنا مقبرةٌ، أم قبرٌ، أم فم كبير، لا أدري من أكون، فما بين اليأس الذي تعيشه موج في داخلي، و حزام الضوء الذي يلفُّني، صرت غريبة عني، وتمنيتُ لو انني كنت بستانا للنخيل، أو حقلاً للياسمين، او نهراً صغيراً يمر من أمام كوخ منسيّ، أشعر أن ما يحدث أكبر من أن تتحمله فوهتي الملطخة بالدم والوجع.

وما أن أغمضت موج عيناها الحزينتين، حتى شعرت أنَّ ذراتي عاودت للارتجاف، وبدأت أشعر بهدير سياراتهم وهي تقتربُ مني مرّة أخرى، زممت على نفسي، كي أهيئها للوحشية المرتقبة، جاءت جماعة أخرى، بذات المظهر السابق، يرتدون الملابس السود وبشعرهم الطويل المموّج القذر، يربطون جباههم بخرقٍ سود، يتحركون بعشوائية، انتبهت هذه المرة الى أعينهم، كانت تخلو من الحس البشري الذي أعرفه، فهي خالية من الدمع، تهيم في واد غير معروف القرار، تحمل ابتسامة شهية للدم والقتل، سحبوا الجثث من السيارة، وبدأوا برميها في جوفي، اشتد حزام الضوء، وتلقف الجثث، رتبها، عدّلها، ثم عرج الى السماء بذات المظهر السابق.

كانت موج ترتمي بين ذراتي مرتجفة، وكأن حزام الضوء قد رفع فوقها حجابا، منع الجثث من التساقط فوقها، تراكمت الجثث أمامها، وتصاعدت أنفاسها، أغلقت فمها بكلتا يديها، وصارت تدور برأسها يمينا وشمالا.

تحركت السيارات مغادرة المكان،إلاّ واحدة، طلب صاحبها منهم أن يمهلوه ليلتحق بهم بعد قليل، كان يحمل سلاحه على

كتفه، وشعره أقصر بكثير، تبدو على ملامحه علامات التعب والذبول، لم يكن يضحك، ولا يتشفى بالقتلى كما يفعلون، بل كان صامتا، يرمي الجثث برَويّة.

تقدم نحوي، ثم جثى على ركبتيه، بدأ بالنظر الى السماء، وصار يهمس، بصوت خافت، وكأن في حنجرته حصىً، تمنعه من الحديث...

يارب ما الذي أفعله؟

هل أنا جبان لهذه الدرجة؟

يارب أنت تعرف بأن هدفي من الانضمام اليهم هو الخلاص من بطشهم ،وليس القتل كما أجبروني أن أفعل، كنت أظن بأنهم سيورطونني بالدم، حتى يضمنون ولائي، لكن لم أكن أتخيل، أن أتورط بقتل والدي .

ثم بدأ صوته يتعالى ، وصار يصرخ سامحني يا الله ، أنجدني ممّا أنا فيه...

ولا أدري كيف سمعت موج حديثه، رغم أن عمقي بعيدُ جدا، إلى الحد الذي يجعل سماع الصوت مستحيلاً ، فصاحت مرتجفة، ساعدني يا أخ، أنا هنا في الحفرة، ذُهلَ، وقفز واقفا،

تراجع الى الخلف ثم سقط على ظهره، واستمر بالزحف مبتعدا عني، كيف لشخص مثله قتل والده، وما زال يشعر بشيء من الخوف؟ او أي شعور آخر؟

استدرك واستجمع قوته، ثم بدأ بالتقدم مني بخطوات متزعزة ومترددة، ثم قال بصوت مرتجف..

- من هناك...؟

- ردت موج... أنا ميتة مفترضة

سحب بندقيته،وبدأ بالرمي العشوائي في جوفي حتى نفذت ذخيرته، تراجع الى الخلف ومازال دخان الرصاص يتصاعد من عمقي حتى حافتي، هدأ، وضرب بيده على جبهته، ما أغباني يالله أأقتل مجددا؟

ثم بزغ صوت موج من داخلي

«لم أمت« ...مقدر لي أن أكون الممحاة التي تمحو بعضا من ذنوبك .ساعدني بالخروج ، علَّكّ ترمم بعضا من روحك الملوّنة بالظلام

ركض نحو السيارة ، وأخرج حبلا طويلا، رماه الى جوفي، وسقط الحبل مباشرة في حجر موج وكأنه يعرف طريقه.

تمسّكت موج بالحبل بكلتا يديها، وكانت تتصرف بشكل هادئ وعفوي، لم تكن تشعر بالخوف أو العجلة أو التعب، كانت تتعامل مع الحبل بعنفوان وحكمة، حتى اني شعرت بالخوف أكثر منها، فما ان وضعت قدمها على جداري كي تتسلق، حاولت أن أمدد بعضا من ذراتي كي تصبح بمثابة السلم، برز حزام الضوء من بين ذراتي ومع كل مرة تضع فيها موج قدمها مستعينة بالحبل لغرض التسلق، تبرز من حزام الضوء سلالم بيضاء ترفعها نحو الاعلى، بينما استمر الرجل بسحبها بكلتا يديه، وهو يجلس أرضا، وكلما جرّ الحبل زمَّ قدميه على الارض وتناثر التراب من حوله، حتى حفرَ بقدميه خطوطا متعرجة ومتشابكة لمسافة تبعد عني بضع أمتار، ومع أني بدأت أشعر بالحزن لمغادرة موج قاعي المظلم، غير أن شعور الخوف من أن تسقط وهي في محاولة التسلق ظلَّ غالبا عليّ، لكنها كانت تتحركُ بخطىً واضحة وواثقة، ربما لأنها غلبت الموت مرات عدة فما عادت خائفة من أن تتعرض لمواقف أكبر وحشية من التي خاضتها.

تسلقت موج ووصلت الى المنتصف، شعرت بالتعب لفينة من الزمن، فصارت تردد بأنفاس متقطعة« سبوح قدوس

رب الملائكة والروح«، وصار حزام الضوء، ينفث فراشته من جديد، وصارت ذرّاتي تردّد خلفها، «سبوح قدوس رب الملائكة والروح«، بينما انطلق من جوفي نور هادر بالتسبيح، حتى وصل الى قمتي وتوزع حولي كبركان، فانصعق الجندي من انبثاق النور، وغطى عينيه بكلتا يديه، مع تشبثه بالحبل، فتراجعت موج بفعل ذلك الى الخلف وكادت تسقط، ولا أدري بعدها ما لذي حدث، ولا إخال أن أحدا منا، أقصد أنا وموج والجندي، ندرك كيف خرجت موج بعدها من الحفرة، لتستلقي عند حافتي ناظرة الى السماء، في الوقت الذي كان يقف الجندي عند رأسها مذهولا...

كان الليل حينها قد بدأ بحزم أمتعته، وبدأ الصباح بالاندلاع، فنزلت خطوط الضوء الخجلة فوق، عينيها، راسمة خرائط متعددة للحياة، وما بين تلك الرغبة المشبعة بالإصرار، الخسائر التي لا تعوض، تقف موج عند حافة الهاوية، تخسف بها الاقدار، وتجعلها خليطا من الوجع المختوم بلعنة الضياع، فتدرك ان الهاوية التي خرجت منها، لا تعادل شيئا من الحسرة والموت من هاوية الحياة التي تنتظرها في مابعد، فلم يكن خروجها من جوفي سوى مرحلة من مراحل النجاة، وربما قد أكون بحجمي

الهائل هذا وبمسمياتي المتعددة، أهون كثيرا من خيارات القبور الفاغرة الأفواه، فأي قبر ستوأدُ فيه، وأي منزلقٍ سيجرها نحو الموت، ولكنها أغمضت عينيها يقينا، بأنَّ الذي مرّت به، ما هو إلا رسالة انتصار تحثها على الاستمرار، فنفضت عن نفسها ترابي، وأرجعت معطفها الى كتفيها مرة أخرى، وسارت مع الجندي، نحو مكان لا أعرفه، بينما بقيتُ أترقب ذهابهما الغائم بالصمت وهما يتوجهان الى جوف غياهب المكان، قاطعين أشواطا من السير، مصرّين على الابتعاد عني قدر المستطاع، وكأني فوهة الجحيم المنبوذة، غير مدركين بأنني مثلهم شهيدة مع وقف التنفيذ...

الاحتمال الثالث

فعل الخنجر

أعلم أن خروجي من تلك الحفرة هو معجزة، فلم يحدث منذ سنة على بدء المجازر في نينوى أن صار شيئا مشابها، بأن نجى أحدٌ من داخل تلك الفوّهة المخيفة، فقد ابتلعت العديد من الشباب، والصبية ،والنساء، غير أنها شربت من دمائنا الكثير حتى نبت في جوفها نبات أحمر اللون، ثماره قطرات من دم، وجذورها صرخات من الالم، ولا بد لخروجي منها، أن يكون لغاية كبرى، لم أدرك مغزاها حتى الآن..

وبينما كنا نسير هاربين من جوف الحفرة، أنا وذلك الجندي الهارب،حدثته عن قصتي، وكيف قُتل أهلي أمامي وفوقي وتحتي، فرد علي بأن ما مررت به، هو لا شيء من المعاناة التي تحل بالمدينة، وهو أبسط ما يمكن أن يتعرض اليه المرء في ظل الظروف الحالية، فقد عرف من حديثي عن بقية عائلتي، فأخبرني بأن شيفان، لم

يبلغ القيادات الداعشية عن خاندان وحسب، بل بلغ عن أولاد عمومتي أيضا، فقتل صغيرهم من جرّاء التعذيب، ذلك لأنه لم يوافق على منحهم مصنع الماء الذي يمتلكه، وأن يكتب اسم الدولة الاسلامية على أغلفة الماء، فبقي تحت التعذيب لأيام عدة، ثم استشهد من جرّاء ذلك، وقد استولت القيادات بعده على المصنع بالكامل،...

بينما استشهد أخوه الاكبر أيضا، جرّاء القصف الذي طال المدينة، فقد كان بيته قريبا من منارة الحدباء، وكان يعمل حارسا في المسجد، وحين بدأ داعش بتفجير المواقع التراثية، لم يرضى أن يغادر المسجد، وبقي ملازما له، بعد أن أرسل عائلته الى احدى القرى القريبة، عند أحد الاقارب، وكان يعد الايام حتى ليلة وصولهم، حاول اقناعهم، بأن هذه المنارة، قد رفعت اسم الله ردحا طويلا من الزمن، حاول أن يتسلق نحو القمة وان يؤذن أمامهم، في محاولة منه ان ينقذ المأذنة من التدمير، ظل يردّد بصوت عالٍ ومدروس، وكأنه كان يتأهب لهذه اللحظة منذ سنين، شرح عن أهمية المكان، وعن تحدّب المنارة، وأن هذا التحدب كان فيه جانبا فقهيا مُهماً، إذ أن المعمار بناها متحدّبة نحو باحة المسجد،

لكفّ الاذى عن الناس، ففي حال سقوطها تسقط على ساحة المسجد دون أن تؤذي أحدا من البيوت المحيطة بالمسجد، وكيف انها صَمَدت أمام عاديات الزمن، رغم ارتفاعها الشاهق والذي يصل الى ٦٢ مترا، وكيف أنها تحمل على جدرانها كل الفنون المحمدية من خط النسخ الذي كتبت به آيات من القرآن الكريم، ومن زخارف اسلامية متعرجة ما بين الهندسية والنباتية، لتخلد الفكر الاسلامي الفذ، وبعد ان يأس من صمتهم المُرّ، وهو يركض خلفهم بخطوات متعثرة، ذهب الى الباحة المقابلة للمأذنة، ورفع يديه للصلاة أمامها، فتراجع بعضهم، فأمر قائدهم بقتله، وأوعز الى أحد الجنود بذلك، فرفض الجندي قائلا، انه يصلي يا مولاي، إنه مسلم، فكيف لنا أن نقتل مسلما، فأجاب القائد بأن إسلامه ظاهريا غير مقبول وهو أحد المرتدّين عن الاسلام ويجب قتله حتى وان كان قائما للصلاة ، فسحبوه نحو المأذنة وصلبوه عند حافتها، ثم فخخوه بالقنابل الموقوتة، بما يقارب العشرة قنابل تقريبا، موزعة ما بين رأسه وظهره ويديه، حتى كان لا يرى من كثرتها، ثم وزعوا بقية المتفجرات حول المسجد، وتراجعوا بحركات متسارعة وفضة، مرددين اسم الله مع كل حركة لا

يرتضيها الله، وثم فجرّوا المأذنة دون أن يبقى له أي أثر يذكر، سوى موقفه الشجاع حتى آخر نفس فيه.

بينما انضم أخاهم الاخر الى التنظيم، بعد أن هددوه بأخذ أخواته الثلاث، وكانت الكبيرة هي الوحيدة المتزوجة من بينهنّ، وكان لديها ثلاثة أولاد، فكان مضطرا إلى الانضمام حتى يتمكن من حمايتهن، ومع ذلك لم يتمكن من الحفاظ عليهن، فقد طلب شيفان والذي أصبح أحد أمراء التنظيم، بأن يتزوج أخته الصغرى والتي تبلغ من العمر اثنى عشر عاما فقط، وحين رفض ذلك، صار العداء له واضحا من شيفان، وصار يرتب له المكائد، محاولة منه في الايقاع به، وبالفعل تمكّن من ذلك وأوكل اليه تهمّة التجسس على القوات الامنية، بعد أن دسَّ في سيارته هاتفا محمولا غير مرخّص من التنظيم الداعشي، وتمَّ زجه في السجن حتى يومنا هذا، بينما انفرد شيفان بأخواته، وتزوجهن الواحدة تلو الاخرى، بعد أن كان يرمي عليهن يمين الطلاق كل ما انتهى من إحداهن، والمتزوجة من ضمنهن، متحججا بأن زواجها باطل، وانها غُصبت على زوجها السابق، ولا أحد يدري كيف جعلها تشهد بذلك أمام قاضي الدم الذي أمر بتنفيذ الحكم على

زوجها السابق بتهمة الاغتصاب، ليتزوجها شيفان بعد تنفيذ الحكم مباشرة...

حطم شيفان عائلتي بالكامل، وفي حين كان الجندي الهارب يتحدّث عن كل ما طال أبناء عمومتي، كانت صورة شيفان السابقة لا تغادر مخيلتي، فكيف لهذا الشاب المعتدل الفكر ، والمفعم بالجمال والعطاء، العاشق المتكبر، والساعي نحو حبيبته برجولته وشهامته، أن يتحول الى وحش كاسر كشيفان الحالي، شيفان ذلك الشاب قليل الكلام، مرهف الحس، صادق النظرات، ناعس العينين، فلم أكن أتخيل يوما ما بأن هذا الشاب العاشق، سيضمر حقدا دمويا لعائلتي لهذه الدرجة، حتى وان رفضوا تزويجي له حين كنا في الكلية، بعد ان تقدم لخطبتي محدثا خاندان حينها، وكان رفض أهلي قاطعا، لعدة أسباب أهمها، انه ينتمي لعائلة عريقة في حزب البعث المقبور، وبالرغم من عدم اعلان ذلك السبب أمامه، غير أنه فهم ذلك جليا، فهو يعرف قطعا ان عائلتي لها موقف حادٌّ من حزب البعث، لكني كنت مُصرّة حينها أن شيفان، ليس له ذنب بتاريخ عائلته، وانه كان صغيرا حين سقط النظام، وهو ابن المرحلة اللاحقة، ولا سيما

محاولة العائلة لتجميل نفسها بالانخراط في الحكومات اللاحقة، لكن مع ذلك كان والدي يقول دوما: إنَّ الفكر العفن لا ينجب إلا الرائحة العفنة، واليوم أدركت مليّا أنَّ الفكر الشاذ لا يمكن ان ينجب إلا ما هو أسوء منه.

وما بين حديث الجندي الهارب، تعجبي، وقفت للحظة، في قلب المنطقة البعيدة عن المدينة، فكيف لي أن لا أميز عيني شيفان؟ وكنت أكتب فيهما قصائد عدة، فحين دخلوا علينا ليأخذوا خاندان في تلك الليلة،كان معهم شاب طويل ملثم بغترة بيضاء، لم يظهر من وجهه إلا عينيه، وكان يشير بيديه نحو مكان خاندان، دون أن يصدر صوتا كي لا تتكشف هويته الحقيقية، وكان مُصرّا على انزال عينيه نحو الارض، والان أدركت بأنه شيفان، لم يكن خائفا من نفسه، كان خائفا لئلا اكتشف شخصيته، وتذهب قصائدي سدىً، بينما كان مصرا على انتقامه المرير من كل فرد من أفراد عائلتي...

أوصلني الجندي الهارب الى منطقة توزعت فيها البيوت بمسافات متباعدة ومختلفة، وأوصاني بنبرة خائفة ومرتجفة، بأن لا أذكر ما حصل معي مطلقا، وان أخفي حقيقة خروجي

من الخسفة، وأن لا أذكر مساعدته اليّ مطلقا، وعاد نحو المدينة بعجلة ،وخوف بينما بقيت أترصد البيوت، وكانت كلها بالنسبة لي خسفة أخرى أخشى أن أزج في عمقها من جديد...

سرت، وبدأ جسدي بالوهن، وأصبحت خطواتي واهنه كخيوط القطن، لكن رغبتي في الاستمرار، والتي لا أعرف منبعها حتى الان، كانت هي الاقوى من بين الجيوش المعتركة في داخلي، كنت أنظر الى تلك البيوت البعيدة، وأردّد «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»، وأدير بعيني المتعبتين ما بين بيت وآخر، حتى سقطت عيني على أحد البيوت وكان طفل صغير يلعب بالتراب أمامه، ولا أدري ما الذي جعلني أتأمل خيرا برؤية وجهه، وسرت نحو البيت وأنا كلي قوة لمصارعة الموت لمرّات أخرى وعلى التوالي...

طرقت الباب، وجاء الطفل نحوي راكضا، ثم صار كل شيء حولي أسودا، متشعبا، وفقدت قدرتي على التوازن، سقطت أرضا، وآخر ما رأيته، قدمي الطفل المتسختين بالطين...

ثم صحوت على رائحة البصل، التي جعلت أمعائي تتقطع من شدة الالم، فنهضت واستفرغت عصارة معدتي، فلا شيء في

جوفي إلا الخوف والحسرة، جلست عند رأسي امرأة متوسطة في العمر، بدت على وجهها علامات الازدراء وعدم الرضا، وكان رجل سمح الوجه، يمسك بيده مسبحة بيضاء اللون، يطأطأ وجهه نحو الارض، أمرها بأن تأخذني كي أغسل وجهي، وبالفعل أسندتني بيديها، وأخذتني نحو المطبخ، وكنت حينها أترقب المكان، والجدران، علي أجد شيئا يرمز الى انتماء هذه العائلة، لكن الجدران والاسطح كانت خالية من أي رمز أو دليل، فلا صور لشخصيات، ولا كتب بعناوين، ولا أغلفة أسرة بأشكال ما، كان كل شيء باهتا أسودا، أو أبيضا، وكل الجدران صماء، خائفة،لا دليل فيها عن انتماء أصحابها لأي جهة كانت.

غسلت وجهي، وربطت شعري الى الخلف، ثم البستني غطاء على رأسي، وارجعت معطفي الى كتفي، وكانت حينها تحاول أن تشيح بنظرها عني، وكنت أشم رائحة الرفض تبرز من بين أسنانها وهي تصك عليها بحرقة بينما تسندني الى يديها وصدرها، أعادتني الى فراشي، جلبت لي الحساء الحار، وقالت كلي بتأنٍ، كي لا تستفرغي مرّة أخرى...

خرجا من الغرفة، وتركوني مع الطعام، كان ذلك التصرف،

قد دفعني للاطمئنان قليلا، فالتمسك بالعادات والتقاليد، في ظل هذه الظروف الاستثنائية، ماهي الا مخاطرة، لا يقدم عليها إلا الاصلاء من أبناء المدينة، ومع هذا مازال الخوف هو الغالب على روحي، خصوصا، مع نظرات صاحبة المنزل هذه، والتي تجعلني أقف في معادلة صعبة، ما بين نظرات زوجها الساكنة، ونظراتها القادحة نارا وشرارا.

مرَّ على تواجدي معهم ثلاثة أيام، ومازلت في حالة التأهب والحذر، وفي الجانب الاخر كانا هما أيضا حذرين مني، لذا غلب الصمت علينا جميعا في أغلب الاحيان، كنت قد قضيت هذه الايام الثلاثة وانا أرتمي تحت الغطاء في الفراش الذي وضعوه لي في زاوية الغرفة الباردة، والتي تصدح جدرانها بدويّ وأنين مستمرين، ولم أكن أميّز هل هذه الاصوات هي تخرج من داخلي أم بالفعل من الجدران المحيطة بي، أصبحت هنالك نوع من الالفة التي تجمعني بالمكان، ولا سيما مع وجود ذلك الطفل الذي ينطلق للعب مع انطلاقة الصباح الاولى، فيخرج الى الباحة المقابلة للبيت، ويقضي يومه ما بين الركض وركل الحصى وكأنها كرة، مكونا لنفسه فريقا كاملا، ما بين حارس المرمى والمهاجم،

والمشجعين، فيرمي الكرة مهدفا صارخا محلقا بيديه اعلانا للفوز، وبينما يركض باتجاه المرمى يصرخ بكلمات تشجيعيه، يعزز لنفسه فيها، وبالرغم من الاسى الذي لا يوصف الذي يتراكم في نفسي، غير أني كنت وبلا شعور أبتسم لإصراره وتمسُّكه بحب الكرة وصنع السعادة لنفسه، مع أن الجو العام أصبح مشحونا بالخوف والترقب والحذر، حتى الاطفال أصبحوا موشومين بملامح الكبار، سرقتني حركته،لأعود الى حينا المزهر، والذي كان كبستان ظنناه خالدا، حتى أتته آفة داعش، وحولته الى مقصلة دائمة، فعلى لسان الجندي الهارب، أخبرني أن الحائط الذي قتل عنده خاندان وأهلي، صار منصة دائمة لقتل الناس، ولم يمر يوم واحد على الاقل إلا وأعدم عنده أحد، لأسباب يتعجب العقل لها،فبعضهم أعدم، لمنشور على منصة الفيس بوك قبل ثلاثة أعوام، وضع فيه صورة لفراشة وكتب فوقها صباحكم فراشات بيضاء محلقة في سماء الحب، فأتُّهم بالدعوة الى الفجور والفسوق، وبعضهم أعدم لأنه طأطأ رأسه عند لحظة اعدام صديقه، متهما بكونه متواطئ ومرتد، أما الذين كانت لديهم تُهم واضحة، كإعلانهم محبتهم وسلامهم مع الطوائف الاخرى، فكان حتفهم

حتميا قطعيا، وهكذا أصبحت الحجج الواهية هي كالفم المفتوح لابتلاع أبناء المدينة، وخلال فترة قليلة أصبح الجميع خاضعين خائفين، رجع بهم داعش الى الجاهلية، فصار التراب يتمشى على وجوه السكان بديلاً من الارض، وأصبحت نظراتهم مغبرة وباهتة، تسحب صورة الدماء والجثث من ملامحهم كل خيارات الحياة، فهم في عداد الموتى، ولكن الدور لم يأت بعد.

وبينما كنت أطل من الشباك وفي غياهب الذكريات، طرق باب الغرفة، فدخل علي الزوجان، باختلاف حالتيهما فكان الزوج ساكنا هادئا ثابت الخطوات، بينما كانت الزوجة مازالت ملتهبة المشاعر المتضاربة وظهر ذلك على وجهها المحمر غضبا وشيطا لسبب لا أعرفه حتى الان، افتتح الزوج الحديث بكلمات مرتبة، وكأنه قد حضّرها مسبقا في عقله، أو ربما تناقش مع زوجته في ما سيقوله لي، فسعل ثلاث مرات متتالية محاولا تجهيز حنجرته للحديث، وكأنه يعتلي منبرا أو منصة، ولم أكن أفهم الداعي لكل هذا التحضير، فبإمكانه ان يكون أكثر بساطة وانسيابيه ليبدأ الكلام والذي أستطيع تقدير مضمونه بكل سهولة، لكني ومع اعتداده بنفسه وحركاته المصطنعة، اعتدلت في جلستي ورفعت

معطفي الى كتفي بشكل محكم أكثر، وتجهزت لسماع حديثه، قال مضى ثلاثة أيام على وجودك معنا وحان الوقت لمعرفة الخطوة القادمة، فنحن ضيفناك وحرصنا على توفير الحماية لك على الرغم من عدم معرفتنا بأصلك وفصلك وماهي قصتك، والان نتمنى منك ان تخبرينا مالديك، ومع ان حديثه بدا جافّاً إلا أنَّ ملامحه كانت موشومة بالخجل والحرص على أن يبدو الكلام ليّنا مستساغا لديّ، بينما كانت زوجته تجلس بجانبه وتفرك بيديها وأصابعها بشكل مستمر، وتزم على شفتيها بين فينةٍ وأخرى، وحتى هذه اللحظة لم أكن مدركة لتشويشها الدائم، فربما لخوفها على عائلتها من أن يشكل وجودي خطرا ما، وهذا حقها بكل تأكيد، فمع تزايد الحجج الواهية للقتل، يبقى وجودي خطرا حتميا على العائلة بأكملها، وهنا عليَّ أن أقرر كيف تكون قصتي، تلعثمت قليلا قبل البدء بالحديث، ثم استجمعت نفسي، وقلت، أنا هاربة من القتل، هناك أوكلت الي تهمة باطلة، وهربت من المدينة الى هذه المنطقة، ولجأت الى بيتكم، كانت القصة مضببة بالنسبة لهما، فهي لم تشبع فضولهما عني ولم تطفئ مخاوفهما مني، سكتت، ونظرت اليهما بنظرة الترقب، بينما بقيا صامتين ينتظران

التتمة، كان عليَّ أن أكون أكثر سلاسة واقناع، فأتممت قائلة، اتهمت باقتناء هاتف محمول، بينما دسته إحدى الصديقات في حقيبتي دون أن أعرف، بعد أن حاولت تخليص نفسها من الموت، لم يكن بإمكاني أن أضيف أكثر، نظرتُ الى النافذة وكانت السماء قد تلبدت بالغيوم وأدلهمت ،وهي تمتد الى الافق البعيد، أغرورقت عيناي بالدموع في وسط هذا الكون الفسيح المبتل بالظلام والحيرة.

مرّت الايام على نفسي حادة كالموس الذي يقطع ساعاتي اربا ما بين الرغبة في الموت وهاجس النصر الذي يغذيني بالحياة، صارت الايام تنغرز في نفسي كأنها ابرة صغيرة تصنع في داخلي ثقوبا مميتة تتسرب من خلالها الوحشة والضياع ونقاط فارغة ، وعلامات استفهام كبيرة وصغيرة، تتوزع في أرجاء الغرفة الباردة والموحشة لتخلق وحشا يهاجمني كل ليلة فأستفيق على كابوس مشبع بالدماء والوجوه المشوّهة.

لم يمُرَّ يومٌ إلا وكانت بدايته الحديث عني بين الزوجين، وصارت الاصوات تتعالى مابين رفض الزوجة لوجودي، وتهدئة الزوج لها مستعينا بآيات من القرآن الكريم والاحاديث

النبوية الشريفة كي يبعث على نفسها بعضا من الهدوء في محاولة منه لإبقائي في المنزل.

كان فصل الصيف قد بدأ يتربص، ووقف على حافات الجو، الذي كان الوحيد هو المتغير في أيامي تلك، مابين الصحو والمطر ودرجة الحرارة المتفاوتة، كنت حينها قد بدأت بالانشغال مع الزوجة في الاعمال المنزلية، وانخرطت في الطبخ والتنظيف وغيرها، لكن ذلك كان يُزيدها اشتعالا وهجومية، في الوقت الذي كنت كالإسفنجة أتجرع المرّ والجهد على نحو واحد.

وفي يوم آخر شهدت الصباح من نافذة الغرفة، وكانت نفسي قد اعتادت المكان رغم الحرب المتوهجة في نفوسنا جميعا، سمعت الزوج يرتل آيات من القرآن الكريم ولم استغرب في بداية الامر، ولكنه لاح لذهني الشارد(مثنى وثلاث ورباع) ففزَّ قلبي في صدري كأنه يهرب بعيدا، وشعرت بالدُّوار فرميت نفسي على طرف الفراش، لا أدري كيف أواجه الحالة الغريبة التي تنتظرني خلف الباب، فأنا لا أملك من نفسي شيئا، الا الذكريات التي بدت تتلاشى في رأسي لكثرة تكرارها، صور الوجوه والمدينة والبساتين، أصبحت مشوشة في رأسي، تفقد الوانها يوما بعد

الاخر، فكيف سأرفض طلب الزواج المُحتم من ذلك الزوج الذي تكشفت نيّاتهُ وسبب صبره على وجودي كل هذه الايام، وكيف سأواجه تلك الزوجة المسكينة التي عرفت نبرة الاحتواء التي كان زوجها يجود عليَّ بها لكل تلك الفترة السابقة، تباعدت أصواتهم عني الى خارج المنزل، وصار النقاش بعيدا، ذهبت الى النافذة فرأيتهما يبتعدان عن المنزل، وكانت تلطم بكلتا يديها على رأسها، بينما وقف ماسكا مسبحته بكلتا يديه وهو مطأطيء الرأس، حادا في الملامح، فأدركت أن لا سبيل له عن التراجع، بينما لا تمتلك تلك الزوجة إلا الموافقة بالزوجة الجديدة التي أرسلتها الاقدار الى عتبة باب دارها في ليلة مشؤومة.

شعرت بالبرد الشديد، لكني على الرغم من ذلك لم ألجأ إلى تغطية نفسي بمزيد من الملابس، فلم أكن أعرف على وجه التحديد هل البرد الذي يراودني هو نابع من ذاتي أم انها برودة الجو.

وللمرة الاولى، نظرت الى ملامح الزوج، وتمعنت فيه كثيرا، فلم يخطر في بالي مسبقا أن أنظر اليه كرجل كامل، كان بالنسبة لي بمثابة المنقذ، ثم استدركت في نفسي، ولممت شتاتي واعتدلت

في جلستي، حين طلب مني أن نجلس على عتبة المنزل لغرض الحديث بأمر مُهمّ ، كنت قد استعدت توازني، ووضعت خطة لتهدئة الامور، افتتح حديثه برقَّة غير مسبوقة، وتلا على سمعي آيات من القرآن الكريم ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ * وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقد شرع في الحديث قائلا: قد ضيّقتك في منزلي وفي وسط عائلتي رغبة في أن يكون هذا العمل قائدا الى رضوان الله تعالى ورسوله الكريم، ولكن بقاءك وأنت شابة وحيدة في داخل منزلي وأنا رجل غريب، لا يجوز شرعا، وعلينا أن نجد حلاً لهذا الامر، ومع طول التفكير وجدت حلاً مرضيا لله أولا وللجميع ثانيا، وقبل أن يعلن الحلّ الذي توصل اليه، كنت أعرف مليّاً أن الحلَّ يرضيه وحده ولا يناسب أحداً منا، طأطأتُ رأسي وقلت أعرف الحلّ الذي يدور في ذهنك، دعني أفكر ليومين وأعطيك الخبر، لفَّ مسبحته ووضعها في قبضة يده، استبشر وجهه باسما فذهب الى الباحة المقابلة للمنزل، مستأنسا بالحديث، ترسم خطواته الايام الجميلة التي سيقضيها معي أنا كزوجة ثانية أرسلها القدر إليه في يوم بهيّ راقص بالحظ والجمال.

تسارعت الساعات وما زالت الافكار تتسارع في رأسي المتعب، كأنها خيالات وسراب، لا يمكن لذهني أن يرتمي على رصيف واحدة منها، وما زلت لم اتخذ القرار بعد، وأعني به قراري في كيفية الهرب من هذا المكان، وان كنت قد هربت فأي المشاكل التي سأقع فيها، وأي الوحوش التي تنتظرني، لكن مازال قرار الزواج منه، هو الاكثر رعبا ورفضا في ذاتي، لا يمكنني أن أفرّط في كل الاشارات السابقة وقدرة الله على ابقائي حيّة، ليكون مصيري زوجة ثانية لرجل لا أعرف حتى الان انتماءهُ وشكل عمله، فهو يخرج صباحا ليعود عصراً محملا بالأكياس المليئة بالخضار والفواكه وبقية الاحتياجات المنزلية، ولا ينبس ببنت شفة عن ما واجهه خلال يومه الطويل، وبالرغم من محاولاتي العديدة لاكتشاف ماهية عمله، غير أنهما تعمدا دوما الحديث في مكان بعيد عني حرصا منهما على أن لا أعرف أكثر من كونهما زوجين، ولهما طفل واحد يبلغ من العمر تسعة سنوات، في أسرة تبدو هادئة وميسورة العيش، تكفي خيرها شرها، في وسط الاحداث الاستثنائية للمدينة، فلم أشهد على مدى وجودي أي نشاط لهما يجعلني ارجح احتمالية انتمائهما لجهة ما، فكان كل

شيء محايدا، حتى جدران المنزل، والملابس، ايماءاتهم، تحركاتهم، نظراتهم، كلها تبدو في المنتصف، واذا ما أعدت التفكير مرات ومرات، فأني ايضا أقف في المنتصف، ما بين الاطمئنان، والخوف، لئلا تكون تلك التصرفات مدروسة، وهما في حذر دائم مني، وربما يعود ولاء هذه الاسرة الى التنظيم الوحشي، الذي هربت منه بأعجوبة، وخوفي كل الخوف أني ما زلت تحت براثنه حتى الآن...

مضى يومان على الصمت المطبق الذي يحيطنا جميعا، خرجت صباحا كعادتي منذ أن بدأت بالانغماس في الاعمال المنزلية، خرجت الى الباحة، كنستُ الارض المحيطة بالمنزل، والتي تصل مساحتها الى ما يقارب الخمسين مترا، متوزعة ما بين ساحة كبيرة تتقدم المنزل وبتُّ أعرف حدودها مع عدم وجود سور خارجي يحيط بالدار، وباقي المسافة موزعة بشكل ممرات عريضة حول البناء بالكامل يعزلها عن الخارج سور متوسط الارتفاع ما أن أرفع قدمي قليلا حتى أتمكن من رؤية ما يوجد خلفه، وضعت الزوجة في ظهر البيت تنورا طينيا، جمعت بالقرب منه مجموعة من الاخشاب لغرض ايقاد النار، ولم تكن تستخدمه للخبز

فقط بل كانت غالبا ما تضع الدجاج أو السمك أو حتى قطع الحلوى، حتى أني أستطيع ان أميّز رائحتها لأنها معتقة برائحة الدخان دوما، حتى وان كانت قد استحمت منذ دقائق، فتبقى لفائف شعرها المربوطة على شكل ضفائر، تخبئ عطر التنور في ثناياها، ومع أني أتذكر جيدا، أن رائحة التنور لا يمكن أن تمحى من ذاكرتي، فهي باقية مع امتداد الازل، فما زالت تلك الرائحة الشهية على الاكل والعيش، تفوح في أرجاء الفضاء المتسع، لترتق نفسها مع الهواء الممتد في فضاءات الوجود الحالم، فتترك أثرها على وجوه المارين والعابرين، والاطفال المنتظرين عند حافة التنور، ليتلقفوا أول قرص من الخبز، ترميه أمهاتهم في حركة شفيفة، ما بين حرارة الرغيف، وحرفتهن في صناعة الخبز، فيرمى الرغيف من ايديهن في حركة دائرية، ويسقط حارا شهيا على قطعة دائرية من الخوص، الذي يعمر في بيوتنا سنوات طوال، ولا يمكنني أن أمر بالقرب من ذلك التنور، إلا وتذكرت ابتسامة أمي الدائمة وهي تصفق على العجينة بكلتا يديها فتمتد وتمتد وتصبح قرصا أبيضا يتلألأ بين سماء يديها، لتلصقه في جدار التنور، ظاهراً على ملامحها، تحسسها من لهبه، فتعقف حاجبيها وتغمض عينيها الى

النصف، وتزمُّ شفتيها قليلا، وما ان تخرج يدها من التنور، حتى تعود لوضعها الطبيعي، وهي بسعادة كبيرة، لكوننا ندور حولها آمنين، نلعب ونحن في انتظار رغيف الخبز، على أرضية باردة، تمدُّها أرواحنا المشبعة بالدفء بشيء من الحنين الحار، كُنا أنا وخاندان، نلعب حول التنور، محتمين بأمي، التي اعتادت على تصفيف أشيائها الخاصة بالخبز، بطريقة تبدو لي فوضوية، ولكنها كانت مدروسة لديها، فكانت ما ان تكمل الخبز حتى تصّففه رغيفاً فوق الاخر، قبل أن تجري عليه عملية النقد، فتخرج المحترق منه، والارغفة ثقيلة العجين، لتبقى بعض الارغفة الجيدة والتي يمكننا ان نتناولها في وجبات يومنا ذاك، فتأخذ الباقي لصنع أكلات أخرى، ثم تلف بقية الاشياء المترامية حولها، وتزم كيس الطحين، الذي لم يبدل اسمه رغم مضي سنوات عليه، فأتذكر أني قد بدأت أتهجى الحروف، وأول شيء قرأته خارج نطاق كتاب القراءة هو ما كتب على كيس الطحين ذاك،(صابر بيك) ولم أكن أعرف ما تعنيه تلك العبارة، لكنها ارتبطت دوما كما التنور، برائحة أمي الشهية، ورائحة المدينة المشرقة صباحا على وجه البساتين والازقة، وحين كبرتُ عرفت ان سر استدارة

الرغيف وشكله الابيض الراقص في راحة أمي، هي تلك الماركة، لمطاحن (صابر بيك)، وهي أحدى مطاحن نينوى المعروفة...

صحوت من موجة الذكريات، فوجدت نفسي قد أنهيت تنظيف الباحة، وهممْتُ بالذهاب الى الداخل، لكني وجدت الزوج قد أنزوى متفرجا عليّ وهو يتكيء على زاوية الجدار، وقد أصبح أكثر جرأة وأقل تكلّفاً، فمسبحته، تدلت من بين أصابعه في حركة دائرية، يلفها يمينا وشمالا، وينظر الي بنظرات جعلتني أتلعثم في خطواتي، فقاطعني قائلا... ما هو قرارُك؟ وكانت ملامحه باردة، وكأنه مطمئن كل الاطمئنان لحتمية موافقتي، فقلت، هل تجد في نفسك القدرة على العدل بيننا؟ فأعتدل في وقفته، وأعاد لجسده هيبته، وكأنه استدرك الحاجة الى الاتزان مرّة أخرى، فقال بالطبع، أنا رجل مقتدر ماديا، وبيتي يتسع لأربعة نساء لا لاثنتين فقط، فقلت هل لك ان تتلو عليَّ الآية التي يشرع الله فيها تعدد الزوجات، فقال وقد ارتسمت ابتسامة حمراء على فمه الذي بدا متسعا وكأنه فوهة الخسفة: نعم(مثنى وثلاث ورباع) فقلت هذه الآية ليست كاملة عليك أن تتلوها كاملة، فعقف حاجبيه واستشاط غضبا، هل تمتحنيني في كتاب الله الذي

قضيت فيه عُمراً كاملا من التلاوة ؟ فقلت أبدا، ولكنني أريد أن أتعلم منك أكثر فقد وجدتك رجلا تعرف شرائع الله وتستشهد بآياته المباركة ، ما الضير في ذلك، زمَّ مسبحته في قبضة يده، ونظر لي بحيرة، ما الذي تريدين معرفته؟ قلت يقول الله عز وجل (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا)، تنتهي الآية بشرط العدالة، غير ان الله يذكر فيها استحالة تحققها بقوله(وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ)، فمهما كنت حريصا على العدل ما بيني وبينها فلن تستطيع، فأنا شابة في مقتبل العمر، أعطاني الله من الجمال حصة جيدة، وزوجتك، قد وصلت من العمر ما يضاعف عمري، فكيف لك ان تكون عادلا في مشاعرك؟

عقف يديه الى صدره، ونظر الى الارض، صار يضرب بقدمه اليمنى بطريقة سريعة، عرفت من حركته أن الوحش الذي بداخله سينطلق في أية لحظة، فتراجعت الى الخلف، ورفعت معطفي الى وجهي، استدرك قائلا؟ هل تقبلين الزواج مني؟ فقلت لم تجبني على سؤالي، قفز نحوي كالصقر الاسود المقيت،

جرّني بقوة، فسحبني نحو الباحة الامامية، سقطتُ أرضا، وكان نظري يذهب الى ذلك الطفل الصغير، الذي توقف عن اللعب، وانزوى خلف الباب ينظر برعب وتوجّس، ظهرت زوجته من مكان لا أعرفه، وهي تنظر الي بنظرة مشوبة بالحقد والكراهية، وتنظر الى زوجها نظرة موشومة بالشماتة والكيد، أخرجت من خلف ظهرها خنجراً، وبدون أن تنبس ببنت شفة، ناولته الى زوجها، وأومأت برأسها باتجاهي، أمسك الخنجر، تفحص وجه زوجته، عاد اليَّ بخطوات متكسرة، تعبر عن مكنونه المتحطم، ورجولته التي تناثرت حوله، وضع الخنجر على خصري، نهضت، وأنا مذعنة وبصمت مطبق، صاحت خلفنا ونحن نتجه نحو السيارة، اقتلها، وأرمها في الخسفة، لن يسأل أحد عنها، فعرفت أن لغيرة النسوان فعل الخنجر على حدّ قول الشاعر!!!

الاحتمال الرابع

شيفان

أنا وبعد كل المجد الذي وصلت اليه في دولتنا التي بنيناها بالدم، وسرنا قُدما لبنائها فوق الرقاب وفوق الرؤوس، لم أنظر يوما في المرآة، بل ربما أكون قد مررت ولكنني لم أتمعن كما فعلت اليوم، حين جاء ذلك الرجل، ساحبا موج من كتفها ورماها عند قدمي، بينما كنت في حالة نفسية وروحية لا تشبه التي أنا عليها الان، كنت قد اجتمعت بأتباعنا وكنت قد وضعت خططا عديدة، للهجوم على المناطق المحاذية للمدينة، وكان دمي يتعطش لكي يخلط مع دماء جديدة، فأنا لم أرتو بعد، ولكن حين سقطت موج عند قدمي، ورغم هزالة جسدها، وشحوب وجهها، لكن عينيها ذاتهما، رفعت رأسها الي، وكانت نظرتها مختلطة بالحقد والعتب والشجاعة والخوف، كنت حينها أحتاج الى قواميس ومعاجم كثيرة، لشرح الحالة التي كنا فيها، فلم ادرك مطلقا أن لموج أثراً

فيَّ، يفوق حدّ السيف الذي أحمله مناديا بالدولة الاسلامية، ولم أُدرك أن كل الاسلحة التي حملتها، والتي نجوت من براثنها، لا تعادل شيئا مقابل تلك النظرة المحزونة، التي جعلتني أرتعد خوفا، حاولت أن استرجع قوتي، وسألت الرجل الذي بدت عليه علامات الغضب والهستيريا، من تكون؟ في محاولة مني كي أجعل استقبالي اليها طبيعيا ولا يختلف شيئا عن سابقاتها، فقال، هربت من دولتكم، كانت متهمة، ولا أدري أي الخونة ساعدها في الهروب، وصلت الى بيتي واعدتها الى هنا فورا، لتنال منكم العقاب الذي يناسب وقاحتها، كان يحمل بيده خنجرا لامعا، وكانت يداها ترتجفان، وجسده ينتفض، فسررت في نفسي ان لدولتنا رجالاً مخلصون كهذا الرجل، جاء بها خائنة هاربة، ودمه يغلي كالتنور، حاول ان يهجم عليها مجددا، ويرفعها لتقف أمامي، لكني أوقفته بإشارة مني، فتراجع الى الوراء، وزمَّ يديه الى بطنه، وقد صك على أسنانه بقوة، كان يحمل باليد الاخرى مسبحة، فحول الخنجر الى اليد الثانية وأطبق بالمسبحة على الخنجر، ولكثرة ارتجاف يديه، صارت المسبحة تصفق بالخنجر ليخرج صوتا، كأنه دقات ساعة تكاد أن تتعطل، لم أتحمّل أن

أسمع ذلك الصوت لمدة أطول، وأمرته بالخروج، شاكرا إياه على وفائه للدولة، فذهب متلعثما في خطاه الى الباب، ثم استدار، وقال هل ستعذبونها قبل القتل؟ هي تستحق، فأومأت له برأسي بأن يذهب...

تدفقت موج الى داخلي مجددا، وكأنها بركان أحمر، أحرق كل الموازين التي كانت تسندني كرجل، خلتها ماتت، وأتممت انتقامي من أهلها جميعا، بل بكل ما يخصُّها، حتى بيتهم الذي ترعرعت فيه، أمرت بتحويله الى سجن للنساء، وأحكمته بضوابط صارمة، ليذوق كل من يدخل فيه، عذابات لا نهاية لها، ليذوقوا كم ظلت روحي حبيسة في ذلك المكان، بينما كان جسدي يقف خارجه، دون أن أتقدم خطوة واحدة.

تقدمت نحوها، وكانت مازالت مرميّة على الارض، حاولت أن أرفع رأسها بيدي، لكني ارتعبتُ، وارتجف كياني بكامله، فعقفت يديَّ الى صدري، أردتُ أن آمُرها وأطلب منها الوقوف، ولكن حنجرتي تصلبت، وبلحظة غير محسوبة، نهضت موج من مكانها، ووقفت أمامي بشموخها المعتاد، غير آبهة بكل الحراس الذين يحيطون بي وهم مدججّين بالأسلحة، وبالاشتهاء

للقتل، تحت أي ظرف كان.

اقتربت مني، ووضعت عيناها في وسط عيني الخائفتين، وفي محاولة مني، كي أحفظ هيبتي كأمير لقومي، والتي شعرت بأنها قد تزعزعت، أمرتُ الجميع بالخروج من القاعة، والتي كانت كبيرة بما يكفي لثلاثين رجلا، لكني شعرت حينها بانها قبرٌ ينطبق عليّ، في كل لحظة، دارت بعينيها في كل المكان، تمشي بخطوات استكشافية، وقفت أمام الراية السوداء الكبيرة المعلقة على الحائط، قالت:

الله

رسول

محمد

تقولون، ان هذه الراية هي العقاب، وتقتنعون بأنها راية الرسول محمد صل الله عليه وسلم، لمَ وضعتم العبارة مقلوبة اليس الأصح :

محمد

رسول

الله

لم أكن أتخيل، بأنها ستبدأ الحديث بهذه الطريقة، كنت أتوقّع ان تعاتبني على ما حصل لإخوتها، وأفكر أيضا في ما لو أنها عرفت ما لذي فعلته بأبناء عمومتها، كانت ربما ستقفز اليَّ محاولة قتلي، فموج التي أعرفها لم تنكسر، ما زالت عيناها تتحدثان بذات الكبرياء وذات القوة...

قلتُ ذلك لأن لا شيء يعلو فوق اسم (الله)

ردّت:

أهكذا تزورون الحقائق؟

والدين؟

أهكذا تقلبون آيات الله وسننه؟

قاطعتها قائلا:

حديثك حتى الآن يكفي لإعدامك خمس مرات

التفتت اليَّ، وتقدمت بخطى واثقة، وقفت أمامي قالت: أعدمتني عدة مرات .. فجلبت هذه الكلمة الى روحي ارتعاشا جديداً، وتساؤلات عدة لم أستطع أن أجيب، فقطع حديثنا صوت تفجير قريب، فقلت، الله أكبر، تقبله في جناتك، نبراسا من دولتنا، واجعل دماءه الزكية قوة للباقين منا، فقد أرسلت

أحد المجاهدين الى تفجير نفسه، في سوق النبي يونس، ذلك لأن جماعة من القوات الامنية، كانت تجتمع هناك متنكرين في هيئات مختلفة، فنزل صوت الانفجار على قلبي ثلجا، مكّنني من إعادة توازني أمامها مرّة أخرى، سحبتها من شعرها المخفي خلف الحجاب، فقاومت بطريقة شرسة، فوقع الحجاب بين يدي ، وانسدل شعرها على كتفيها، متوائما مع عينيها البارقتين كشمس الدجى، فهمستُ في نفسي، يا لله، ثم وضعت معطفها حول نفسها بقوة، وتقدمت أمامي الى الباب، مُعلنة حرباً جديدةً لا أدري كم من الخسائر سينالني منها..

أعادني وجه موج الى عشر سنوات مضت، فللمرة الاولى أواجه نفسي بهذه الحدية، فلا يمكنني أن أجعل موجا تفهم أن ما يحدث هو جزء من السيناريو الذي خطّطنا له منذ سنين، فلم يخلُ يوم من الايام إلا كنا نجتمع في بيتنا بصورة نمطية، ليروي لنا والدي بطولات وأهداف النظام السابق، والذي كان والدي قياديا فيه، كان يسرد لنا الحكايا والقصص والبطولات مضيفا لها طعما خاصا من حركاته المرتبطة بالعُلى، فهو يتحدث رافعا رأسه الى الاعلى وواضعا قدما فوق الاخرى، محركا يديه

بحركات دائرية وأخرى متقاطعة، وهو يسرد الاحاديث بشهية مفرطة، وكأن العالم كله ما بين راحتي يديه وأصابعه، يلف الناس البسطاء في جوف الكلمات المفخمة ويتحدث بحرقة عن الخونة، ثم يهدأ حين يستذكر الخلايا النشطة التي لا تغادر صغيرة وكبيرة الا وتبعتها، مستشهدا بالحوادث العديدة التي تصادفه، وهو لا يتوانى للحظة عن تنفيذ العقوبات، كان يتعمد أن يفتح أبواب الحديث عن طرق التعذيب المبتكرة والتي يمارسها النظام ضد الخونة والمتواطئين، يتعمد ان يفتتح هذه المواضيع الدموية مع أول لقمة نضعها في أفواهنا، ولم تكن تقف في حناجرنا بل بالعكس، كان حديثه الدموي، بمثابة الماء الذي يدفع الطعام منسابا الى بطوننا، وعن نفسي، كانت الوجبة الشهية بالنسبة لي، هو الحديث عن القتل الجماعي، وكانت صورة الناس وهم يتكوّمون كالتلال المتفرقة، بنظراتهم الخائفة والمتربصة لأي حبل نجاة، بعضهم يصرخ والاخر يصمت، وغيرهم يبكي، ووالدي بكامل اناقته وقوته، يقف عند رؤوسهم المعدة للقتل، ينتشي بتلك الصرخات، وكأنها سمفونية تمدُّ رأسه المتشعب بطرق لا يمكن أن تنتهي من التعذيب والموت، فكنت دوما وبدلال

الطفل الصغير أتوسل اليه أن يروي لي ما حدث في حادثة الانفال، وكنت في كل مرة أسمعه يروي لي قصتها أرسم سيناريو جديد تختلف فيه الوجوه والاشكال، تختلف فيه القصص ما بين الاطفال والنساء والشباب، فكانت تلك الحادثة تمدني بشيء من النشوة الكبيرة، فأعود الى سريري، أنام على ظهري موجها رأسي نحو السقف، مبتكرا من بياضه، لوحة فارغة أرسم فيها مئات الاطفال والنساء وهم في مختلف الاوضاع التي يتلوون فيها وجعا وخوفا، حتى ينساب الي النعاس بطريقة مريحة، أشعر فيها بالخدر، فأدخل في سبات عميق، ولكن المشهد الاكثر قربا الى مخيّلتي هو حين يربط والدي تلك الحادثة في ما حصل في معركة بدر في زمن الرسول محمد صلّى الله عليه وسلم، فيصف الناس المعادية للنظام بجهة الكفار التي يجوز قتلهم وأخذ الجزية منهم، ومباحٌ لنا أن نستبيح نساءهم وأطفالهم وممتلكاتهم، فيتكون في رأسي مشهداً مرتقاً ما بين الماضي والحاضر، ما بين الخيول وهي تركض باتجاه القرى، يمتطيها فرسان تعتلي وجوههم نظرات الغضب والانتقام، وهم يركضون نحو القرى حاملين بأيديهم مشاعل من النيران الملتهبة، ليقذفوا بها في وسط القرية،

وسرعان ما تأكل النار البيوت والناس على حدّ سواء، لتأكل أيديهم بشهية الجائع النساء الجميلات وهن يختبئن تحت سقوف البيوت المتهشمة، والتي تتلقفها النيران، ومابين مشهد الدبابات العسكرية التي يهدرُ دويها في رأسي رغم عدم مشاهدتي لها بشكل حقيقي، ولكن لكثرة تكرار ذكرها على لسان والدي بات صوتها مزروعا في عقلي، وكانت الصورة تكتمل ما بين الطائرات التي تعتلي السماء بحرية كاملة، و الجنود المُدجّجين بالأسلحة والدمار وهم ينتشرون في المدينة، يحرقون ويأخذون الانفال، فالأنفال هي الغنائم التي باتت شهية في عيني، وكنت اتخيلها زاما على صدري وكأنني أنالها بين يدي لا في مخيلتي، وحين كنت صغيرا كنت العبُ في باحة البيت، مردّدا (أنا شيفان كيمياوي، انا شيفان كيمياوي)، لشدّة إعجابي وتلهُّفي لتلك الحادثة الشهية بالموت والانتقام، لكن أمّي دوما تعضُّ على شفتيها مبتسمة وهي تقول إياك!! وكأنني بهذه الكلمات أتخطى المحظور، فعلى الرغم من أن والدي هو من أزلام النظام المعتمدين في الحزب، غير أنَّ النيران قد تطالنا أيضا فالحذر واجب.

كانت كلمة (حذر) ملازمة لكل الاحاديث الآنفة الذكر،

فنحن نعمل ضمن شبكة واحدة وننتمي انتماءً أصيلا لا يمكن أن يُغيّره تغيّر الازمان أو تقادمها. علينا دوما أن نهتمَّ بمظهرنا أمام الناس، وأن تكون حركاتنا منسابةً باتجاه الشموخ والعزة والبطولة، وأن لا نتكلم كثيرا مع الناس، إلا في الحالات الضرورية، أن ننتظم في جلستنا، وأن يكون الشموخ هو السمة الغالبة على ملامحنا، أن نُفرد صدورنا الى الامام، وأن ننظر الى الآخرين من الأعلى إلى الأسفل، لم تكن هذه الدروس تقدم لنا بصورة شفاهية فحسب، بل كُنا نأخذها بشكل عملي، وذلك عند متابعة تحركات وايماءات والدي، بشكل مقصود أو عشوائي، وأنا كنت الاوفر حظّا من بين أخوتي في تلبس تلك السمات المقصودة الزرع فينا، إذ سبقني أخوتي الثلاث والذين يكبرونني بعشر سنوات، فأخذت كل تصرفاتهم وتحركاتهم وطرائقهم في الحديث والحركة، وصارت جزءا لا يتجزأ من شخصيتي في ما بعد...

قرأت مرّة، وصفا مقنعا عن القلق، يذكر أحد الفلاسفة الذين كان والدي حريصا على اقتناء موسوعاتهم الفكرية المعقدة الشروحات والتفاصيل، يذكر أن القلق حرية تشعرك بالدوار،

فهو يهبُك مساحات شاسعة من الخيال اللامنتهي، يرميك في حروب مدمجة بالخيبة والخسران، ويعود بك الى نفسك مرّة أخرى، حاملا معه تصورات عن ملامح للهروب والانكسار والضياع والموت، ويكون أكثر شراسة في حال توطدت علاقته بعوامل أخرى، كالنظرة الشائبة الى الذات، وهذا ما أشعر به في هذه الايام المليئة بالصفاء القاتم، ذلك أن أسوء ما يمكن أن يراودني هو الشعور بالصفاء، فهو يرجعني الى هذه الخلطة الغريبة التي صيرني والدي لأبدو عليها، فما بين الجسد المفتول العضلات والنظرات المدروسة بدقة وحرفة، واللغة المفخمة التي استخدمها في الحديث مع العامة والخاصة، صمتي الذي يغطي أغلب أميال الساعة، وحديثي المختصر والمدروس، تلك الصفات التي غطيت بها (النذالة) التي درّسني إياها والدي، دون ان يستحي من طرح المفردة دون أن يُغطيها بشيء من التنميق أو الزخرفة الكلامية، فعلى الرغم من أنَّه مقتنع دوما بأن المعنى هو رداء الكلمات، إلا أنَّ كلمة نذالة، كانت الوحيدة مستثناة من تلك القاعدة، فقد أخبرني لمرات عدة، ان النذالة هي الصفة التي يجب أن لا تغادرك على الدوام، كي تكسب جميع المعارك، وان تسيطر

على جميع العقول، فهي نوع من الفراسة التي يتجنبها الجميع، وحتى لو امتلكوها فهم لا يعترفون بوجودها في حيثياتهم حتى مع أنفسهم، بينما نحن كعائلة نعترف ونتفاخر بها، فهي ليست سيئة كما يخالها الناس، هي حق مفروض يجب أن تخدش أشواكه كل من لا يمكننا أن نلوي يديه بفكرة أو حُجة...

اليوم، تعريت تماما أمام تلك المفردات، وتلك القواعد، حين رأيت موج، وهي بصلابتها المعهودة وكأنها واجهت الموت لمرات عدة حتى صار لا يُخيفها بل صار يغريها، فكيف لي أن أجعلها تخضع، وقد تجاوزت فكرة النهاية،هذا ماجعلني انعكس أمام ذاتي كالمرآة، وافقد التركيز لساعات طويلة.

الفجوة التي ردمتها موج بمقدمها، أكبر بكثير من المعاناة التي رأيتها في حياتي، فأنا لا أقصد المعاناة التي تتبادر الى أذهانكم الان من جوع أو فقد، أبدا، المعاناة التي كنت الوكها مابين التلذذ بالتعذيب، ومابين الصورة الحسنة التي أبدو عليها، فقد صادفت الكثير من القتلة، أغلبهم حملوا وجوها مشوهه، او برزت في ملامحهم زوائد لحمية، بشرتهم تختلط مابين السواد والدم، تصرفاتهم مرتبكة، وغير مستساغه، إلا أنا، فكنت بصورة الملاك، الذي يقبع في داخله

شيطان لعين، تمكن مني دائما، ومازال يفعل.

اليوم أرسلت موج الى سجن النساء، والذي يقع، في دارها القديم، أرسلت في طلب المسؤولة عن السجن، وطلبت منها أن لا تدخل اسم موج في القوائم الرسمية التي ترسل الى الخليفة، ذلك لأنني أريد أن أبقيها قريبة، وأن لا تنالها يد أخرى غيري، ولكنني أعرف يقينا، انها لن تأتي طوع يدي اذا طلبت منها الزواج بشكل مباشر، لذا لابد من الصبر.

فاجأتني المسؤولة عن سجن النساء، بوقاحتها، فلم تقبل أن تُخفي اسم موج، وأصرّت على رفع صورتها في لوح السبايا، وكلما حاولت أن أخيفها بنظراتي، وتهديداتي المبطنة، زادت وقاحة ورفضا، فعرفت انها ستساومني قبل أن تنفذ طلبي هذا، فطلبت مني أن أطلب من أحد القادة، والذي تزوج من ابنتها، أن يتوقف عن ضربها وتعنيفها، وأن يجعلها تأتي لزيارتها في كل اسبوع، أمرتها بالانصراف، وارسلت في طلب ذلك القائد بلا لحظة واحدة للتفكير، فكنت محاط بهالة لا تنتهي من الضوء، الذي شتت نظري الى أي شيء آخر عدا وجه موج، ونظرتها القاسية والحادة، جاء القائد، بعد عدة ساعات، من ارسالي في

طلبه، كنت حينها قد جلست وحيدا، ممدّدا على سريري أنظر الى السقف، أفكر في معركتي الدائمة مع الزمن، وكيف انه بدأ بهد بنياني بطريقة متسارعة ومحترفة، فهو المفتاح الوحيد الذي يمكنه أن يفتح أدوات الهدم، فبسبب الزمن نحن، نولد، نشب، نشيب، ثم نغادر، وما بين تلك المراحل، نبني أشياء عدة، يهدها الزمن في لحظة واحدة...

وما ان دخل علي ذلك القائد، الذي أتذكر اليوم الذي أنضم فيه الى دولتنا، كان حينها هاربا من أيدي الاخوة المجاهدين، وما أن أمسكوا به حتى طلب منهم الانضمام اليهم مقابل عدم قتله، وطرح حينها عرضا مغريا، أشبع أدمغتنا فقبلناه، حيث قال(مستعد أن أقتل أمّي وأبي) في سبيل خدمتكم، كانت الجملة هي الاكثر نذالة من بين كل الجمل التي سمعتها في حياتي، فسارعت بقبوله بيننا، وبالفعل اثبت قدرته على تنفيذ أصعب المهمات حتى صار قائدا في الدولة الاسلامية، دخل الي وهو مدجج بالسلاح، والحزام الناسف يحيط بخصره، تقدمت نحوه، وانا أشبك يدي حول ظهري، فقلت، من الجيد أن تؤدب زوجتك بالضرب، اذا ما خالفتك، وهذا مصداق لقوله تعالى(فأضربوهن)، ولكن

ليس من الجيد أن تحرم أمها من رؤيتها، فسوف تضمر والدتها لك العداء، وهي مقربة جدا من الخليفة، اياك ان تفقد سيادتك بسبب النساء، أعرفك ذكيا وفطنا، طأطأ رأسه مندفعا الى الخلف، وقد شعرت بأن براكين من الغضب تعتري جوفه، كما اني أعرف يقينا بأنه سيذهب ويضرب زوجته مرة أخرى، لكنه سيرسلها لرؤية أمها بلا شك، ذلك لأنَّ مكانته في الدولة تعلو كل حقد أو كراهية.

ما ان خرج القائد من عندي، حتى بلغني خبر مفاده، أنَّ القوات الامنية على وشك قصف المكان الذي أنا فيه، فسارعتُ ومن معي باتجاه المخبأ الذي قد هيأناه سابقا لمثل هذه الحالات، جمعتُ كل الاشياء التي تلزمني، ولبستُ حزامي الناسف، وشعرتُ لوهلة، أني قد استرجعت توازني، وتركت موجا والتفكير فيها الى وقت آخر، فالخيار بالبقاء أصعب بكثير من اختيار الرحيل...

الاحتمال الخامس

موج

الصمت هو اللغة التي لا يمكن ان تنقرض، فهو كائن مظلم، يتناوب ما بين الوضوح واللا وضوح، مابين النور والظلمة، وما بين الصواب والخطأ، ما بين الرفض والقبول، الجدية والهزل، الرحيل أو البقاء، القوة والضعف، هو اللغة الازلية والابدية، والتي لا يتقنها إلا ذو حظ عظيم، مهما كانت توجّساته الداخلية، وصراعاته النفسية، وهذا ما أدركته، حين التقيت شيفان، كان بارعا في الصمت، وكنت متلقية جيدة، أرسلني الى سجن النساء، وهو بيتنا الذي غادرته قبل فترة، لأواجه أعاصير الموت والحيرة، أعاصير الهروب والعودة غير المتوقعة، فكان استياء ذلك الرجل الذي انتقم مني بطريقة لم أكن أتصورها، لأنني رفضته زوجا، كان أكبر وأبلغ من أي ردة فعل، فقد حطم توقعاتي وتوقعات زوجته التي أرادت قتلي بشدة، وكنت لا أحسب أن هناك خياراً

أقوى من الموت، فحين جرّني الى سيارته، أخبرني في منتصف الطريق، سأجعلك تعودين الى الجحيم الذي هربت منه، والحمد لله اني لم أخبره بأن الخسفة هي آخر جحيم زرته، لرماني فيها مرة ثانية، لكنه فضل أن أموت الف مرّة دون أن يقتلني وينهي عذابي دفعة واحدة...

بيتنا، كانت بابه الخارجية والمطلة على الشارع، مبتسمة، لا أدري مالذي جعلني أتصورها دائما بأنها حنون جدا، تستحي أن لا تفتح مصراعيها أمام أحد، كان لونها أبيضا، شابته بعض الندب البرتقالية اللون، نتيجة تأثرها بالمطر والرطوبة، مما جعل جزيئات الصدأ وكأنها نمش يتوزع على خديها كأنها فتاة عشرينية، كانت تلك الباب تستقبلنا جميعا بحرارة، تتفاعل مع صخبنا، ولعبنا بالقرب منها، غير آبهة لتدافعنا عليها، وهي تصدر صوتا يشبه الضحك، لم أعرف أبدا أن لي ارتباطا روحيا معها، حتى اني ذات مرّة، تحدثت معها عن شيفان، فقد مرَّ بالقرب من البيت، وكنت حينها أقف خلف الباب، واسترقُ النظر الى مشيته المعتدلة والشامخة، وكانت كلُّ خطوة منه تجعل قلبي يقفز عشقا، وشعرتُ حينها أنَّ الباب قد شعرت بتلك الحالة العشقية

المتوهجة، فهمست لها :(لا تخبري أحداً...)

وقفت السيارة بالقرب من البيت، أو سجن النساء، كان البيت محاطا بالأسلاك الشائكة، والقطع الكونكريتية، التي جعلته مخفيا عن أنظار المارين، تعجبت لحالته، فقد سجن بيتنا بين جدرانه، أنزلوني الى نقطة التفتيش، وكان الحراس يقفون موزعين بانتظام حوله، بينما أخذت غرفتي لتكون مقرا للمراقبة، واستخدمت النافذة كبرج جلس فيه أحد الحراس متربصا للشارع المقابل، بعد ان أضافوا الى النافذة دكة خرجت عن سمت الجدار الاصلي للغرفة، تعلوه سقيفة مبنية بطريقة محكمة، ومطلية باللون الاسود، فبدت السقيفة منظرا مشوها ومرعبا للبيت، وكأنها عين الدار التي فقئت، تقدمت وانا اتفحص المكان الذي بدا لي غريبا مع اني ترعرعت فيه، قامت احدى المسؤولات بتفتيشي بالكامل، وقد استغرقت مدة التفتيش مايقارب ١٥ دقيقة، كانت جادة جدا في الامر، فقد تحسست جسدي بالكامل، وأجزاء ملابسي، ثم فمي، وأسناني، وشعري، ولم يكن بإمكاني الاعتراض أو الرفض، كنت كالدمية في يديها العفنتين، أدور بحسب توجيهاتها، ثم أجلس وأقوم وهكذا، حتى أشبعتني بحثا

وتنقيبا، وأشارت الى المرأة المدججة بالسلاح، بانتهاء العملية وبأنني نظيفة على حد قولها، ثم رفعت القلم وفتحت سجلا كبيرا كان قد وُضع فوق عدد كبير من السجلات المشابهة له، وقالت اسمك، فتدخلت المرأة المدجّجة بالسلاح، ورفعت كفها بوجه المفتشة لا تسجلي.... وجرتني بقوة نحو البيت، كنا وصلنا حينها لبابنا الذي بات حزينا شاحبا، مطليا باللون الاسود وخطت فوقه عبارات باللون الابيض، لم تزده إلا حزنا وهما، مررتُ عبر الباب، وكان صوته قد شاخ عما تركته سابقا، نظرت بعجلة الى حديقتنا الكبيرة، والتي لم يعد فيها متسع للأشجار، قطعوا كل الاشجار، ووضعوا بدلا عنها تلالاً من الاكياس المعبئة بالتراب، والغرف الصغيرة المضافة، والتي عرفت في مابعد بأنها تستخدم للتحقيق، والتعذيب، وأشياء أخرى، لم يبق من ملامح البيت سوى الارضية، التي بقيت على حالها، غير انها بدت شاحبة، طبعت عليها آثار البساطيل القذرة ، كان الجو خانقا، مرعبا، سحبتني نحو غرفة الاستقبال والتي تحولت الى استعلامات لفحص النساء الوافدات، وكن يقفن في صف طويل كنت أنا في نهايته، ذهبت المرأة المدججة بالسلاح نحو القائدة التي تقف

خلف المكتب وهي منشغلة بالتسجيل والتحقيق، فهمست في اذنها، فعادت لتأخذني اليها ضاربة ذلك الصف الطويل عرض الحائط، من غير كلام ولا أي سؤال،على العكس من السياق الذي رأيته في الدقائق القليلة التي وقفت فيها، فقد كانت تسأل أسئلة عديدة، وتسجل في سجل منتظم التخطيط وبدقة عالية، جرتني المدججة بالسلاح نحو غرفة خاندان، وقد قلعت الباب الخشبية التي كانت تغطي مدخل الغرفة، وأبدلت بباب حديدية صلدة، لها نافذة مشبكة بقوائم من الحديد، تكفي للنظر من خلالها، أُفرغت الغرفة من أي شيء يخص أخي خاندان، وقد وضعت فيها خمسة أسرة موزعة ما بين التقابل والتناظر، وللمرة الاولى أدرك ان بيتنا قلبه كبير لهذا الحد الذي يتحمل فيه كل هذه الاعباء.

كانت الغرفة هي الاقل ازدحاما بالنزيلات من بين الغرف المتبقية، وصار واضحا اني حصلت على توصية خاصة من الامير شيفان كي تتم معاملتي بهذه الطريقة المميزة والحسنة مقارنة مع الاخريات، الجو العام للغرفة هو الصمت المطبق، والاعين المتربصة خوفا، في بداية الامر لم أستطع تمييز عدد النزيلات،

ولكن بعد ان سحبت المرأة المدججة بالسلاح احداهن وأسقطتها على الارض، وأشارت لي أن أجلس مكانها، ثم خرجت وأحكمت قفل الباب، تراجعت جميع النزيلات عني، وأشحن بنظرهن نحو نقاط مختلفة، فواحدة، تنظر نحو السقف وقد بدا عليها الارتباك والخوف، والاخرى تنظر نحو القضبان التي تعلو الباب، وبعضهن غطينَّ رؤوسهن بأيديهن، وكنت قد فهمت سبب ذلك الخوف، فأنا جئت بطريقة مختلفة ومميزة، ولابد أن يكون لي شأن خاص ومن ثمَّ أنا أشكل خطرا عليهن، مما دفعني إلى الاعتقاد انهن وصلن الى درجة من الالفة والقرب الكبير فيما بينهن، ودخيلة مثلي ستسبب زعزعة في مكانهن الذي بالكاد يسرقن منه بعضا من الاستقرار...

نزلت من السرير، ورفعت الفتاة التي كانت تبدو في سن الخامسة عشر، وأعدت لها سريرها، جلست على الارض، ولم يكن الحال صعبا أو مريرا علي، فلا يمكن لأي واحدة من الموجودات حولي، قد مرت بما مررت به، من مواجهة الموت، وان أحتضن جثث أحبتي لأيام عدة، وان أعيش في جوف حفرة كان الخروج منها أشبه بالمستحيل، بالعكس، ان هذه الارض المستوية

التي أجلس عليها الان، هي بمثابة الكرسي المريح جدا مقارنة بالخسفة، فضلاً عن أن هذا البيت هو بيتي، وانا أجلس الان في غرفة أخي خاندان، وهذا جلُّ ماكنت أتمناه سابقا، بينما كنت أنام ما بين الطين والظلام، وماكنت أدعو به ليلا ونهارا حين كنت في دار الزوجين، وها انا هنا مجددا ولكن بطريقة عجائبية لم يخطر في بالي اني سأعيشها في يوم ما، نهضت الفتاة وهي خائفة ومرتبكة، لا تدري أي التصرف هو أقرب للصحة، هل ستجاريني وتجلس على سريرها، أم ترفض وتبقى جالسة على الارض، فاذا وافقتني ربما ستُوبّخ من الحراس، واذا خالفتني ربما سأعرضها للأذى، فبقيت متسمرة في مكانها دون حراك، فابتسمت لها وأشرت لها بالجلوس محاولة أن أرفع عنها تكلفة التفكير بعواقب سيئة قد تأتي عن طريقي...

لم تنبس أي واحدة منهن ببنت شفة، ولم يكن عندي حديث يمكنني أن أشاركهن فيه، كان الجو العام لنا جميعا هو (الاكتئاب) وليس من السهل أن تجد وصفا دقيقا لتلك المفردة (الاكتئاب)، فهذه المهمة عسيرة، وكأنك تحاول أن تصف الحياة الظاهرة على جسد ميت، خالٍ من الروح، وحينها تحتاج الى استخدام

العبارات المجازية، والمترادفات، وعلى أية حال فانك لن تصل وصف الحالة بالشكل الذي يجب ان تظهر عليه، فلا توجد كلمة يمكن ان تشابه كلمة أخرى، فلكل واحدة، شكلها الخاص ومعناها الخاص الذي لا يمكن أن يعبر عنها بواسطة غيرها، لذا ستجبر علي توظيف الاستعارات اللغوية، كتلك(أنا محاصر في غرفة تشبه التابوت)(أشعر بأن روحي مقصلة)(وكأن الهواء حبل يلف على جيدي) وهكذا، وعلى أية حال، فأننا جميعا في هذه الغرفة، محاصرون في سجن الاكتئاب، وربما هو مرحلة متقدمة علينا أن نشعر بها بعد أن نجد الاستقرار، فالأجدر بنا جميعا أن نمارس القلق، والخوف والترقب، ويبدو ان النزيلات جميعهن وصلن للمستوى نفسه من مغادرة الحياة وهن ما زلن على قيدها كما أشعر أنا بالضبط...

مرّت أيام عديدة، وأنا هنا في غرفة خاندان، أأكل بصورة منتظمة، وأنام أيضا بصورة منتظمة، نخرج صباحا لغرض تنظيف السجن، واعداد الطعام في المطبخ، وفق قواعد صارمة، وحراسة مشددة، لكن على أية حال كنت أنا الاقل نصيبا من العمل بين النساء الموجودات، أعرف أنهنَّ ينظرنَّ اليَّ بصورة

خاصة، ويتسائلنَّ في أنفسهنَّ، ما الذي يميزها، لكن الاجابة وفق الظرف الحالي لهذا السجن، أن أحد الامراء اختارني زوجة له، وهي حالة ليست بالغريبة، ولكن الاغرب، أن أُزجَّ في السجن بدلا من أن أكون في بيت الامير، فكانت الأعين تتربص الاجوبة ، وكنت غير مهتمة، لا أفكر بشيء ، أي شيء، وكأن تفكيري يسوده البياض، والفراغ، السواد، لا أدري، وقلبي يشعر بارتياح شديد، مهما تعالت الاصوات حولي، ومهما رأيت من حالات لتعذيب النساء في داخل تلك الغرف، كنت أقول في نفسي سينتهي، حتما سينتهي...

وفي ذات صباح وانا أعمل في داخل مطبخنا، والحارسات يجرين الجرد الصباحي اليومي على السكاكين والادوات الحادة في داخل المطبخ، كنت أشعر بالذهول والغرابة، فكيف أكون سجينة وعاملة في بيتنا ومطبخنا، وأكون مسؤولة عن ضياع أو سرقة حاجياتي للدرجة التي تصل فيها عقوبتي حدّ الجلد؟؟!!!

جاءت المرأة المدججة بالسلاح نفسها، وأمرتني أن أترك ما في يدي وان أرافقها، ذهبت خلفها فأدخلتني الى غرفة مسؤولة السجن، وقد كنا نستخدمها سابقا كمخزن لحفظ المؤونة والاشياء

الزائدة عن الحاجة، وضعوا فيها مكتبا صغيرا، وخلفه كرسي ثابت، بينما علق على الجدار الذي يقع خلف المكتب، الراية السوداء، أفرغت الغرفة من أي شيء آخر، ولا أدري أين ذهبت حاجياتنا، ووضع في زاوية الغرفة، دولاب حديدي طويل مقسم الى دفتين، ربط بينهما قفل كبير ربما تحتاج لفتحه من دون المفتاح الى اطلاقة مسدس، ومن طريقة احكامه عرفت أنه يحتوي على ملفات ضخمة وسرية ومهمة جدا، زجتني المرأة المدججة بالسلاح أمام المسؤولة وراحت تدور حولي مرات عدة، بنظرات مختلفة، لم أكن استطيع تفسيرها، فقالت، يبدو عليك الاطمئنان، الا تعلمين ما الذي ينتظرك؟؟ نظرتُ الى الارض وأومأتُ برأسي بالنفي، رفعتْ رأسي باصبعيها السبابة والوسطى، ثم شمخت برأسها نحو الاعلى وسلطت نظراتها في وجهي بشكل دقيق، ولو لا علمي بكرهها لأي صفة للحياة، لقلت ، تنظر اليَّ بنظرة فنان يتفحص لوحة، لكن أنفاسها باردة كفوهة جبل، ويديها متصلبتين كحجر لا يتأثر بنثيث المطر او انسياب الماء، طويلة القامة، ميتة الروح، منتزع منها كل صلة بالأرض والحياة، تركت وجهي بطريقة عنيفة ودفعتني الى الخلف، حضّري نفسك، قد طلبك الامير ستذهبين ، وأتمنى

أن تغرُبي من هنا دون رجعة، فالحارسات بدأن يتحدثن، وصرت مصدراً للقلق في داخل السجن، وبينما كانت تتحدث معي، دخل علينا شخصان وهما يحملان السلاح، وبدأت الاطلاقات النارية تتصاعد في كل المكان، وصارت هناك ضجة عارمة، تسود المكان، ركضت لأحتمي خلف المكتب، بينما سحبت المسؤولة عن السجن سلاحها وصرت أسمع تبادل الاطلاقات النارية ثم هدأت الاصوات في الغرفة، رفعت رأسي فوجدتها مرمية على الارض مضرّجة بالدم، وكان الدولاب قد فتح، وأُخذت منه بعض الاوراق، بينما ترك بعضها الآخر منها، ركضت نحوه أخذت ما يمكنني أخذه، وضعته تحت ملابسي، وركضت نحو غرفة خاندان، كان الحراس قد انشغلوا بما حدث، لففت تلك الاوراق تحت عباءتي ولبست النقاب وجلست انتظر، فكنت على يقين أن الفوضى ستنتهي وان سيادتهم ستعود مجددا، وبعد ساعات قليلة بدأت الامور تعود الى نصابها من جديد، ودخلت عليَّ إحدى النساء المدججات بالسلاح، أمرتني بأن أتبعها، ادخلتني مجددا الى غرفة المسؤولة ، شعرت بالخوف، وصرت أردّد في نفسي، «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»، وكنت واثقة أن الله سينقذني مرة

أخرى، كثقتي انهم لو عرفوا بسرقتي لتلك الاوراق، سيعدمونني، دون الرجوع الى الامير شيفان ولن تُجدي وساطته شيئا حينها، دخلت وانا أحاول أن أستجمع قوتي وصلابتي، فوجدت ان المرأة المدججة بالسلاح قد صارت هي المسؤولة الجديدة، وقد تغيرت حركاتها خلال ساعات قليلة، فصارت أكثر شموخا، وقوة، وصارت أكثر حدة، شعرت وكأنها تحاول أن تصبح نسخة عن مسؤولتها السابقة.

قالت: هل أنت جاهزة للمغادرة؟ فشعرت بشيء من الارتياح، جرّتني الاخرى، وكنت قد سلمتها يدي دون مقاومة، كي لا تستشعر وجود الاوراق، وأخذتني نحو الباب، طلبت منها المفتشة أن تفتشني قبل ذهابي، فصرخ سائق السيارة (لا وقت لذلك) مؤشرا بيديه بالعجلة ، فركضت نحو السيارة ورغم علمي بضبابية القادم غير أني نجوت من الموت للمرة العاشرة!!!

الاحتمال السادس

صانع الشياطين

أنا أيضا أعمل وفق إرادة الله، وصحيح اني أصنع الشر بهاتين اليدين، ولولا وجودي، ووجود المشابهين لي في هذا العالم، لما كان هناك خير، وما كان ينفع اختبار الانفس، وتبدل الارواح ما بين التدنيس والتقديس، فأنا أيضا جزء لا يتجزأ من هذا النظام الكبير، فلا يمكن لأحد أن يلومني لما أفعل، بدليل انني دوما أجد المكان الصحيح الذي أعمل به وأزاول هذه الحرفة، لكن هذه المرّة هم الذين وجدوني، صحيح اني وجدتهم أكثر شرًا، وعرفت منهم انني مهما احترفتُ ومهما تطورت ومهما صنعت من شياطين، سيبقى ذلك الشخص الذي قد نما شيطانه معه، هو الاكثر ابداعا في ميادين الشر، لن أجعلكم تتسائلون أكثر، بدأت الحكاية حين كنت شابا في مقتبل العشرين، حين وجدت عملا بأجور مغرية في المشرحة، ما كنت حينها أفكر

بالذي سأواجهه في ذلك العمل الذي يبدو مخيفا ومقرفا، فقد كان عندي الاستعداد لأعمل في أي مجال بغية الحصول على راتب مجزٍ، كان اليوم الاول صعبا، وكنت فيه لا أقوى على الوقوف، فقد شعرت بوهني وضعفي، لرؤية اول جثة في حياتي، ومع اني رأيت الكثير من الجثث في مابعد، وكانت تبدو بحالة نوم عميق، غير أن أول جُثة كانت مشوَّهة ومرعبة، وكأن القدر ساقها إليّ، كي تكون البداية التي يموت فيها قلبي تماما، وبمرور الايام، اعتدت الجثث، وثلاجات الموتى، والصراخ خارج المبنى حين يستلم الاهالي جثث أبنائهم، وصارت تلك التفاصيل لا تحرك في داخلي شيئا للحد الذي لم أعد أراها رغم حدوثها أمامي، ولكن في ذلك اليوم جاء الينا طبيب جديد كان شابا مُميزا يرتدي النظارات الطبية ويعلق السماعات على كتفيه، ولا تبذل جهدا كبيرا في تخمين عمله، وذلك لأنك سرعان ما ستكتشف انه طبيب من ايماءاته وحركاته، وعرفت من التبليغات بأنه سيصبح المسؤول الجديد عن المشرحة، كان جادا في العمل، ويُفضل البقاء في المشرحة في أثناء الليل، على العكس من الاطباء الذين يتهربون ويدفعون المال في سبيل ألاّ تكون لديهم خفارة ليلية،

وكنت أتساءل، مالفرق بين الجثة صباحا وليلا، فهم يتعاملون مع الجثث من دون خوف طيلة اليوم، في حين يتهربون منها في الليل، وكأن الليل سيهبها الروح مؤقتا!!!

وحينَ كنتُ أنظّف الممرات التي تدور حول وحدات المشرحة، مابين غرف ومخازن وقاعات ومكاتب، كنت أمر متعمدا لمرات عدة بالممر المقابل لغرفة ذلك الطبيب غريب الاطوار، وكنت أراه منشغلا يدفن رأسه بين الكتب والاوراق، وكنت واثقا بأنه لا يعي وجودي أمامه، لكن... في احدى الليالي، ناداني، وبدون اي مقدمات او شروحات، سألني سؤالا صادما، ما رأيك بأن أعلمك حرفة؟؟ فتقدمت نحوه مرتبكا متلعثما، وانا أمسح يدي بملابسي من الماء والصابون، وقلت ضاحكا يا دكتور انا أعمل هنا براتب جيد، فان كانت حرفتك ترد عليَّ بمال أكثر فلا بأس... قال سترد عليك بمال واشياء أخرى، سأعلمك كيف تصنع شيطانا!!!

ذهبت ضحكتي مباشرة وتيبس داخلي، شعرت بالخوف، وعرفت أن اشياء أخرى غير الجثث تجعلك خائفا لهذه الدرجة، فقلت في نفسي، انه ملبوس، وما ان تحركت نحو الباب حتى قال..

انتظر، لست مجنونا أو ملبوسا، هل تعرف كيف يصبح الشخص قاتلا؟ فارتعبتُ، وشعرت أنَّه على وشك قتلي، وسأتحول الى جثة منسية في داخل هذه المشرحة المليئة بالجثث المشوّهة والمعدومة الهوية....

ركضت نحو الباب، فضحك بهستيريا، وقال، يصبح الشخص قاتلا نتيجة عوامل عدة، منها المرض، والخوف، الانتقام، الخطأ، وغيرها الكثير، لكن كيف يصبح المرء قاتلا بدم بارد، يشتهي القتل، ويتفنن فيه، للحد الذي يقال عنه، فنان في صنع الموت؟؟؟

رغم ان التوجس والخوف ما زالا هما المسيطران على حالتي، غير أني وجدت نفسي مجبوراً على سماعه، فعلى أيّة حال لا يمكنني أن أخسر عملي في داخل المشرحة، ناهيك عن احتمالية كونه صادقا في ما يقوله، عدت الى الغرفة مجددا، وجلست على الكرسي المقابل لمكتبه، نظرت حولي، كان المكان مُغبرا وقذرا، تتجمع الأتربة فيه على كل الزوايا والكراسي، التي لم تطلْها الاجساد لفترة كبيرة، نظرت اليه وانا اتطلعُ لأنْ يُتمَّ حديثه، فحرّك نظاراته الطبية الى الخلف بأصبعه، وانغمس في القراءة مرة اخرى، وتجاهل وجودي

أمامه، قلت... كيف؟ فلم يجبْ وبقي على جلسته المعتدلة ذاتها، يضع القدم فوق الاخرى، ويمسك الكتاب الذي رسم على غلافه، صورة لشيء أشبه بالرأس المفتوح، يظهر من خلالها جزء من المخ البشري، تتوزع فيه نقاط حمراء وأخرى صفراء وخطوط طويلة وعريضة موزعة بتشعب بدا لي وكأنه عشوائي، صرفت نظري الى رأس الطبيب، كان رأسه غير منتظم الشكل، فقد رأيت انبعاجاً في الجانب الايمن منه، مما أثرَّ في وجهه من الجهة اليسرى، فبدا عليه التشوه بشكل ملحوظ، لكنني لم أكن قد انتبهت سابقا لذلك، فالكاريزما والركازة منعتني من التمعّن في شكله بهذه الدرجة من القرب والتأمل، أطرقت رأسي من تحت الكتاب، وكررت، كيف ياحضرة الدكتور؟ فرفع رأسه ناظرا الي بنظرة مختلفة عن سابقتها... ماذا؟ فقلت... كيف يصبح الانسان فنانا بالقتل؟ قال ما أدراني؟؟؟

قفزت من مكاني متأكدا أنَّهُ مجنون، توجهت نحو الباب فاستوقفني مجددا، قال... هل تعلم أنَّ هنالك نقطة في دماغ الانسان اذا ضربتها بطريقة مفاجئة ومباغتة وبضربة محسوبة الوقت والمكان بشكل دقيق سيتحول الانسان بعدها الى قاتل

بدم بارد؟؟؟

زممت شفتيَّ، وقرضتهما بأسناني، واجبت كلا لا أعرف، فقال سأعلمك، فنحن نمتلك من الجثث ما يكفي للتدريب...

تقدم أمامي وهو يدمدم بكلمات غير مفهومة، واصلت المسير خلفه، حتى وصل الى ثلاجة الموتى، وسحب أحد المجرات الكبيرة من غير أن يتعب نفسه في مشقة التفكير بالاختيار، كانت الغرفة وللمرة الاولى تمتاز بالصرامة، وبالرائحة الرطبة، الاضاءة الخافتة، حفيف الاشجار وهي ترتطم بالرياح في معركة ليلية صاخبة بالرعب والهواجس، كلها كونت في داخلي صورة لكائن كبير يلتهمني بدون توقف، سحب الطبيب غريب الاطوار الجثة، ثم فتح السحاب بطريقة سريعة وهو يبتسم ابتسامة عميقة وقد ذهبت عينيه في ذهول وكأنها سافرت في مجرات بعيدة، وضع كفه الايسر تحت الرأس ثم رفعها قليلا وأشار لي في المنطقة التي تبعد عن الاذن بأربع أصابع، ثم نزل بمقدار أصبع واحد، وأشار ها هنا...

ما أن تضرب هذه المنطقة بطريقة حذرة ومدروسة فسيتحول عقل الانسان الى عدواني، ويتلذذ بالقتل، وما ان يتذوق طرائق

جديدة في تعذيب الاخر حتى يرتفع لديه هرمون السيروتونين، ويجتهد الجسم في إفراز هذا الهرمون لعشرين مرّة مضاعفة، وما ان يبدأ الجسم بفقدان هذا الهرمون ، حتى يشعر الشخص بالحاجة الملحة إليه، ومن هنا تكون قد صنعت شيطانا، ثم أردف بضحكة عالية، ورمى رأس الجثة وذهب يتفحص الشباك الذي يطل على واجهة المشرحة...

بدا لي الامر في غاية الغرابة، وقلت في نفسي أن الامر لا يمكن أن يكون بهذه السهولة، فربما هذا الطبيب المُختل، يصنع لي فخاً، أو ربما يجعلني له أضحوكة، لكن شيئا ما في داخل نفسي ، يجعلني أصدق كل ما قاله، ومما جعل الامر أكثر صعوبة هو أنَّ التدريب، يجرى على الجثث، ولا يمكنني أن أتأكد من صحة الحالة، تقدمت نحوه، وكان الفجر قد بدأ بالانبلاج، هدأت الرياح واستقرت الاشجار، وبدت متعبة من معركة الليل، وبدأ الجنون العارم الذي اكتسى به الليل بالزوال، وبدأت الشوارع المقابلة للمشرحة أكثر عقلانية وواقعية، ربت بيدي على كتف الطبيب، وقلت أريد ان تعلمني هذه الحرفة، فصاح في وجهي، اذهب الى عملك أيُّ حرفة؟؟ التفت الى قاعة الثلاجات الحافلة

بالموتى، وصرخ في وجهي، لمَ هذه الجثة خارج الثلاجة؟ أحملك المسؤولية كاملة على هذا الاهمال، انتفض وذهب الى خارج القاعة، ركضت نحو الجثة وأعدتُها الى مكانها، ولم يكن بوسعي ان أتحدث معه أكثر فقد بدأ الموظفون بالدخول الى المشرحة وصار المكان مكتظاً بالناس، فبقيت متوجسا وخائفا لا يمكنني أن أفصل ما بين الحقيقة والخيال، وما بين الصدق والكذب...

واليوم، بعد أن مرَّ على تلك الحادثة ما يقارب الثلاثون عاما، أنا أقف هنا وأشعر بالغبطة، ذلك لأنني كنت سريع التعلم، وصرت أسرع وأكثر دقة من معلمي في صنع الشياطين، ذلك انني أختلف معه في كثير من الاحيان حين يسمينا بصناع الشياطين، الأجدر أن يسمينا بصناع الملائكة، ذلك اننا نتفنن في طرائق القتل، ومن ثمّ تذهب الارواح مُفرغة من أيّ ذنب، وتسلك طريقهاإ الجنان بسهولة ويسر.

حين دخل تنظيم داعش الى الموصل، كنت قد خرجت من المشرحة، وكنت قد أحلت على التقاعد، لكن رغبتي بصنع الشياطين ما زالت قائمة، وكنت أشتهي ان أمارس هذه الحرفة على كل من أنفرد بالجلوس معه، حيث انني لم أستطع ولو لمرة

واحدة مقاومة نفسي في سبيل تجاوز الفرصة التي تمكنني من تحويل اي شخص جالس أمامي الى شيطان مازالت الظروف مساعدة، فمرّة كنت استقل الحافلة راجعا الى البيت وكان بقربي شاب في مقتبل العمر، نظرت اليه وهو ينظر الى الشباك بعينين حالمتين، يشعر بالرضا والارتياح تجاه الحياة، يضع يديه معقوفتين الى صدره، ينتظر محطة الوصول بهدوء وسكينة، انتابتني رغبة عارمة في أن أحوله الى شيطان، راجعت نفسي كثيرا، حاولت ان أمنعها من تقدم على عمل كهذا في وسط الناس، لكن وجود الناس حولي شكل لي حالة من التحدي، فصرت أكثر رغبة في ان أمارس حرفتي عليه، مددت يدي وكنت قد اتقنت العملية للحد الذي لا أحتاج فيه لأن أكرر العملية مرتين، فهي تنجح عندي مع أول محاولة، ضربت المنطقة، بطريقة سريعة ومباغتة، مال الشاب مغميا عليه، صحت في وسط الجموع ساعدوني ساعدوني، سقط الشاب سقط الشاب، فتوقف السائق، وتجمع الناس حوله، بينما نزلت بصورة تكتيكية، وانا اشعر بالراحة والسعادة، تاركا خلفي قاتل مميز.

تكررت الحالة معي كثيرا، وصار الناس يشكون في كوني

ساحر أو ملبوس، وصاروا يبتعدون عني، كي لا يتحولوا الى مجانين وقتله، بدأت أشعر بالانفصال التام عن المجتمع، وصارت رغبتي في صنع الشياطين تزداد، رغبة مني بالانتقام من الجميع، حتى دخل عليَّ في ذلك اليوم الامير شيفان، وهو يبتسم ابتسامة ترحيب، وقبول، جلس بقربي غير خائف او متوجس، صافحني، ووضع يده الثانية فوق يدي، مربتا بكل محبة، فقال انه يومك ياهذا، ستصنع التاريخ، وستكون اليد الضاربة في الدولة الاسلامية، شعرت أن الحياة قد انفرجت أمامي، وان حرفتي تلك ستؤطر بزي رسمي، وستفتح لي أبواب السلطة، لانتزع جلد التشرد وأتخلص من كلمة منبوذ، سأمارس حرفتي بوضوح، وسيقدم لي ما أشاء بفضلها، زمتت أغراضي، وتوجهت مع شيفان الى وسط المدينة، كان قد أعد لي مقرا كاملا، وفق تصوراته لحاجتي في إتمام العمليات، لم يكن يعرف بأني بحاجة الى يدي فقط، لكني ما ان رأيت المقر حتى شعرت برغبة في توسيع متطلباتي، فطلب منه مكتبا خاصا، تتوفر فيه الفخامة والتنظيم، وان يكون عندي موظفين، وحراس، وقاعات بأسره، وغرف متعددة يكتب فوق ابوابها قطعا تعريفية، وكان لي ماطلبت...

باشرت بالعمل، وكان طابور المنتظرين طويلا، فقد وقف في باب المقر عددا من الشباب والكبار ايضا، ومنهم أطفال في عمر العاشرة، طلبت من السكرتير أن يحولهم الى قاعة الانتظار، وان يسجل أسمائهم في قوائم، وان لا أجري أكثر من عمليتين في اليوم، رغم قدرتي على تنفيذ العملية بعدد أكثر، لكن طلبي ذاك كان ضمن خطتي للاستمتاع بمنصبي الجديد، دخلت الى غرفة العمليات، وطلبت ان يدخل المجاهد الاول، كان شابا في الثلاثين من عمره، وفق المعلومات التي قدمت لي عنه، طلبت منه ان يستلقي على بطنه، وأن لا يتحرك، كان خائفا مرتجفا، نظراته مرتبكة ومغرورقة بالدموع المتجمدة، لم يستطيع ان ينبس بكلمة، وسرعان ما استلقى على بطنه، وكان قلبه ينبض بسرعة كبيرة، وهو يلفُّ نظره حول الادوات الطبية الموزعة في الغرفة وعلى الطاولة المحاذية للسرير، مابين مشرط ومقص، وما بين اشياء أخرى لا أعرف عملها بالضبط، ولكنهم وضعوها ضمن الادوات الطبية التي يظنون بأنني سأستخدمها، قفلت الباب، وجلست أمامه، أشعلت السيجارة، وبقيت أتمعن فيه، والسرير يرتجف من تحته خوفا، وضعت قدمي فوق الاخرى، وانا استمتع بلحظات

براءته الاخيرة، أتفحص جسده المتين، ويداه، وانا أتصوره كيف سيتحوّل الى شخص آخر، خالٍ من الخوف، والمشاعر، خالٍ من أي خير في داخله، مرت ساعة وانا على جلستي، وهو متجمد في مكانه، تقدمت نحوه، وبحرفة عالية، ضربت المنطقة المقصودة في رأسه، فغاب عن الوعي، خرجت وكان الموظفون في انتظاري، خلعت القفازات، وانا أحدث الموظف، خذوه الى القاعة رقم (٤)، سيصحو بعد نصف ساعة ويكون حينها جاهزا...

وبالفعل، استفاق بعد نصف ساعة، وكان وجهه قد تغيّر، وملامحه قد تبدلت، أمرت بإحضاره الى غرفة التجربة، وهي المرحلة الاخيرة من اتمام عملية صناعة الشيطان، أحضروا أمامي أحد المحكومين بالإعدام، ووضعناه على كرسي، ثم دخل الشيطان المصنوع مؤخرا، وكان شيفان حاضرا حينها...

طلبت من الشيطان، أن يعطينا طريقة مختلفة، لغرض اعدام المتهم، تقدم نحوه، أخذ دورة كاملة حوله، نظر في عينيه، رفع رأسه وقال، نحرقه!!!

وقف شيفان مصفقا، الله عليك يادكتور، أحسنت صُنعا، وبالفعل تمَّ تنفيذ الحرق في المتهم وبقيتُ أنا أزاول حرفتي

صانعا مئات الشباب الشياطين، والذين لم تكن أيديهم تقوى على القتل...

حتى هذا اليوم الذي جاء فيه مبعوثُ من الامير شيفان راكضا نحوي ،وأنا في المقر، طلب مني أن أذهب معه الان، فالوضع الأمني مرتبك جدّا ونحن لا بُدّ لنا من مغادرة المكان، شعرت بالحزن لمغادرة مملكتي، ولكن حياتي كانت مهددة، ناهيك عن انهم لن يتركوني حيّا اذا رفضت الذهاب معهم، لملمت أغراضي، وركبت السيارة مع مبعوث شيفان إلى مكان لا أعرفه....

الاحتمال السابع

موج وشيفان مرة أخرى

الطرقات هي المسافات التي نقطعها بترتيب مرّة، وبعشوائية مرة أخرى، تجرُّنا نحو المنحدرات، وترفعنا نحو القمم، أو ربما تكون أبسط من ذلك بكثير، فنتجاوزها غير مكترثين للمرور فيها، نترك أثرا مرّة، وتذهب آثار خطانا أدراج الرياح مرات عدة، وها أنا اليوم وللمرّة التي لا أعرف عدها، أساق في طريق لا أعرف نهايته، لكنني اليوم رأيت نينوى بعين أخرى، منغمسة ما بين احتمال النهاية، و توقع البداية، فقد تغيرت ملامح هذه المدينة وصار جوها حانقا ضاغطا، وانا أقف بشموخ قبال هشاشتي وضعفي...

نظرت الى سائق السيارة، وقد بدا عليه الارتباك والخوف والفزع، كان يتجاوز النقاط التفتيشية دون أن ينبس بكلمة، فقد رفع الهوية التعريفية الخاصة به على شباك السيارة الامامي، وما

ان يشاهد الحراس تلك الهوية حتى يركضوا لفتح الطريق أمامه، سلك الطريق الى خارج المدينة، ومال في طرق وعرة، وكانت الاوراق التي خبأتها تحت عباءتي تصدر صوتا حين يدخل في المطبات بسبب وعورة الطريق، وكنتُ في كل مرّة أحاول أن أسعل بقوة، كي أخبيء صوت الاوراق لئلا ينكشف أمري، حتى انتبه السائق على سعالي المتكرر، فصرت أتعمد أن أقول بصوت مسموع مع كل مطب، يا لله، يا لله، حتى أخفي صوت الورق وهو يتكسر تحت عباءتي.

وصلنا الى منطقة صحراوية، وصار الجو خانقا، والسيارة بكامل سرعتها، شعرت بالخوف والتوجس، فربما قبري ها هنا في هذه الصحراء، بدلا من الخسفة،أو الحائط.

غيوم متتابعة في كبد السماء، ترابطت واتحدت، مكوّنة لوحة من تدرُّجات اللون الازرق وصولا الى اللون الابيض، رسمت في وسطها أحلامي المقتولة، والطرقات التي كنت أسلكها، قبل أن تكون جل تمنياتي مقبرة!!

أن يكون لك مقبرة، يعني أن يكون لك جذرا في هذه الارض، يعني أن تبقى سلالتك مرتبطة بالمكان، وان تعددت

الاماكن التي تتوزع فيها، أن يكون لك مقبرة، ان يكون لك حصة أبدية في هذه المدينة أو تلك، أن تتمادى روحك للسماء متحدة بوثاق ابدي مع الارض، لذا حين دخلت تلك الجماعات الظلامية الى الموصل، عمدوا الى هدم المقابر، والاضرحة، بل توسعت أفكارهم الخبيثة، الى اصدار عقوبات، أبرزها تهديم عشرة قبور على يد الشخص المتهم، على ان تكون القبور عائدة لذويه، فهم يدركون ان فكرة الهدم المتعمد للقبور هي هدم لتاريخ الفرد، فإذا تحطمت قبور الاجداد لا حاجة للعودة الى هذه الارض مرة أخرى، فهذا التهديم ما هو إلا انفصال الروح عن الارض، فتبقى معلقة في غياهب الريح .

توقفت السيارة بالقرب من خيمة كبيرة في وسط الصحراء، وكان هناك راعٍ يجلس على صخرة قريبة من الخيمة، وهو يُمسك بيده عصاه، ويراقب الاغنام التي تنتشر في منطقة قريبة منه، ركض نحو السيارة، تحدث مع السائق بعد أن ابتعدا لمسافة عني، وصار السائق يشير اليّ في أثناء حديثه، في تلك اللحظة شعرت بالدوار، والحيرة، ولم يعد عقلي قادراً على الاستنتاج والتحليل، لا أدري لأيّ مُدّة سأرمى ها هنا في هذه الخيمة، وكيف سأعيش مع

هذا الراعي في هذه الصحراء الكبيرة، ولكن لدي اطمئنان، بأن الراعي لا يمكن ان يؤذيني ما دام الامير شيفان قد أرسلني الى هنا، نزلت من السيارة بعد أمرني السائق بذلك، وما أن ترجّلت حتى جاءت سيارة أخرى مسرعة، ووقفت بجانب السيارة التي كانت تُقلّني، نزل منها رجلان، أحدهما الذي كان يقود السيارة والاخر رجل عمره يقارب الخمسين عاما، كان يتحرك بطريقة عشوائية، يتلفت يمينا ويسارا، ويحاول ان يسترق السمع كلما انزوى اثنان من الرجال للحديث في ما بينهما، لفت انتباهي أنه يطيل النظر إلى الرؤوس بطريقة لافته، فما ان يقف أحد أمامه حتى يلتفّ وينظر الى رأسه من الخلف، ثم يبتسم ويواصل الحديث، لم أستطع أن أفسر حركاته، ذلك لانهم أخذونا الى قلب الخيمة، كانت مفروشة بسجادة قديمة ورثة وهناك عدد من الوسائد الموزعة في داخل الخيمة، جلسنا انا وذلك الرجل الغريب الاطوار، بينما غادر السائقان، جلست في منتصف الخيمة، قسمت فتحة الخيمة المنظر الخارجي الى قسمين، علويٌّ وتظهر فيه السماء وسفليٌّ تجلّت فيه الصحراء، وبقي نظري متعلقا ما بينهما، كنت قد سمعت كثيرا عن الخيمة، وعن شكلها وطريقة تركيبها، حتى أني قرأتُ إنها

اللبنة الاولى لظهور عمائر اسلامية جديدة، ساهمت في وضع شكل معماري جديد للمساجد والمدارس الاثرية والتراثية، ولا سيما في عنصر عماري يعرف بالايوان، وهو الجزء الوسطي من بناء المسجد أو المدرسة، أغمضت عيني محاولة مني في استرجاع وعيي مرّة ثانية، فأي عمارة أفكر فيها في هذا الجو المشحون؟

بينما كنت أنتظر الراعي كي يعودُ وأن أفهم موقفي، تقرّب مني ذلك الرجل وقال، ما رأيك بأن أخلصك من قلقك؟ وان أجعلك لا تشعرين إلا بالقوة والشجاعة، خفت، ارتجفت يداي، وارتعش جوفي، دفعت الاوراق الى صدري بقوة واحكام وابتعدت عنه الى جدار الخيمة، تقدم مني أكثر وقال لا تخافي، لا يحتاج الامر إلا لضربة صغيرة على رأسك تتحولين بعدها الى محترفة في القتل!!

ارتعدت أطرافي وصرت أصرخ ابتعد، ابتعد عني، هرع الراعي، وضربه على رأسه سقط مغميا عليه بينما بقيت أنا أرتجف خوفا...

سارع الراعي لإسدال الستارة المعلقة على أطراف فتحة الخيمة، وصار المكان مظلما مخيفا حتى أشعل مصباحا وبدأ بإزالة

السجادة، قال، تعالي، ساعديني، سحب بابا خشبية ثقيلة، انفتح تحتها سلم من أربعة درجات، صعقت فلم يخطر ببالي أبدا ان هذه الخيمة هي بوابة لغرفة سرية كهذه، أنزلني ونزل بعدي مسرعا، رأيت شيفان وهو يجلس على كرسي خلف مكتب صغير، وقد توزعت المصابيح في أماكن متعددة من الغرفة، وبالرغم من ذلك ما زالت الرؤيا غير واضحة تماما، ومع أن شيفان كان يبدو القيادي الاكبر في هذه الجماعة، غير أني حين رأيته تبدد الخوف مني، فلسبب لا أعرفه، رأيت انه سيغفر لي أي خطأ ممكن أن يصدُر مني، ولكن ما زلت أمسك الورق بكل حذرٍ وحرصٍ تحت عباءتي...

أشار (شيفان) اليَّ بالجلوس على السرير المنزوي في نهاية الغرفة، تقدّمت ببطءٍ ، وسعلت مرات متتالية عند جلوسي، كي لا تصدر الاوراق صوتا، سأل شيفان الراعي، أين الدكتور الصانع، فقفز الراعي خوفا وتوجسا، تلعثم قبل ان يجيب، قال، حاول أن يعتدي على هذه السيدة، فضربته على رأسه، وهو مرمي في الخيمة الان، قفز شيفان من مكانه، وقد قدحت عيناه شرراً وحقدا، ركض نحو السُّلم، ساحبا المسدس معه، ركض الراعي

خلفه، حتى اختفيا عن نظري، ركضت وأخرجت الاوراق أخفيتها تحت السرير، واعتدلت في جلستي مرة ثانية، وما ان جلست حتى سمعت أربع اطلاقات نارية وبعدها ساد الصمت ثم اطلاقة خامسة، ثم الصمت مجددا...

نزل شيفان من الخيمة، وقد بدا الهدوء والسكينة واضحين على ملامحه، كان يرتدي سروالا واسعا، وفوقه قميص طويل، وقد صارت لحيته طويله ومتشابكة ومغبرّة، يلف حول خصره حزاما ناسفا، فعرفت ان الامور الامنية لشيفان ليست على ما يرام، تقدم نحوي، وجلس ثانيا ركبتيه على الارض، قال بصوت ناعس ومرتاح، قتلته! كان أفضل الرجال عندنا، بل كان صانعا للمجاهدين، ولا يوجد في كل الارض كل الارض شخصا مثله، لكنني مع ذلك قتلته، من أجلكِ فقط...

رفعت النقاب، ونظرت في عينيه بشدة، قلت، نظرة من عينيك كانت تكفي لكتابة قصيدة، والان نظرة منهما تكفيني لتخيل مقبرة!!!

توكأ على طرف السرير، حاول أن ينهض ثم سقط، وكأن قواه قد خارت، تمدد بالقرب من قدمي، وصار قلبي يرتجف

خوفا من أن يرى حزمة الورق تلك، قال، انت لا تفهمين، لا تدركين، المال، والفكر، لا يمكن أن يخلدان الا بالسلطة، السلطة تجعلك تمتلكين العقول، وتجندين الفكر، تمكنك من السيطرة على المحيط، وما ان تتوفر الظروف حتى تتسع مساحات السيطرة، ويزداد النفوذ، وتنطلق الكلمة لتخرم لب العقول الهشة، فتتمكنين حينها من مدِّ أية فكرة وتسييس أية كلمة، فقط من خلال السلطة!!!

لكن ما لا تعرفينه، أنَّ سلطة الكرسي ليست كافية، فهناك سلطة تعلوها، وهي سلطة الحب، فبإمكاني أن أسيطر على كل مَن حولي، إلا الحب، لا يمكنني أن آمُرَ به، فهو يأتي طوعا مع أفكاري ،وتصرفاتي الناتجة منها، وأفعالي كما تشاهدين، دموية، وقد تلطخت بالدماء من كل حدب وصوب، قتلتُ، وأمرتُ بالقتل، وخططتُ للقتل حتى ضاع مني العد....

أغمضَ عينيه، ودخل في سبات عميق، وهو يتمسك بقدمي اليسرى، وكأنه كان يفتقد للأمان الذي حرمه النوم لأيام طويلة، بقيت متسمرة في مكاني، ولكن في لحظة لا أعلم وقتها، باغتني التعب، والنعاس، فغفوت ساندة ظهري الى الحائط، وكان

شيفان مازال يتمسك بقدمي، ويسافر في نوم عميق.

صحوت على صوت الباب الخشبي وهو يفتح بقوة، فنزل الراعي راكضا، صحى شيفان من نومه واعتدل في جلسته، وقال ماذا حدث؟ قال الراعي وهو يفرك رأسه بيديه، انه هجوم من القوات الامنية، وقد أصبحوا على مسافة قريبة منا، والاخبار ليست جيدة،أصبحت نينوى تحت سيطرة قوات الحشد، والناس في تفاعل عال معهم، حتى انهم توصلوا الى كل الاماكن السرية التابعة لنا بمساعدة أهل نينوى، وصار وضعنا مرتبكا جدا...

وضع شيفان يديه على رأسه وضغط بقوة على جبينه، صارخاً(خونة... خونة...)

أمر الراعي بتنفيذ الخطة البديلة حالا، فركض الراعي صاعدا الى الخيمة، وأغلق الباب الخشبي، وعادت الغرفة الى ظلامها الجزئي...

توجه شيفان الى المكتب، وفتح الدُّرْجَ، وأخرج جهازاً لقياس السكر في الدم، وأخذ لنفسه تحليلا سريعا، وكنت قد فوجئت بإصابته بهذا المرض، على الرغم من أنه لم يكن يبدو عليه أي تأثر في المشاعر أو أي تغير في الجسد.

قال... لا تخافي سننجو هذه المرّة أيضا، مهما ساء الحال سنعود ونفرض سيطرتنا سيرفع الراعي الخيمة وتتحول فتحة هذه الغرفة الى أرض صحراوية ممرغة بخطوات الماعز والاغنام، ولن يبقى لنا أثر على سطح الارض، بينما نحن هنا، تحتها ننتظر الفرصة حتى نطلع مُجددا مُحملين بالظلام لكل المدينة...

قلتُ: لا فائدة من حديثك ولا تمنياتك، سيعود النور لنينوى ، وتعودون أنتم كما قادتكم السابقين الى الظلام الى الحفر.

قفز شيفان من مكانه، متوجها نحوي، وصارت عيناه تقدح شرراً....(لا تستغلي حبي وضعفي أمامك ، الزمي الصمت).

خلع الحزام الناسف الذي يحيط بخصره، صار يعيد برمجته، أخرج الأسلحة المخبأة في الدرج ووزعها حوله، ثم طلب مني أن أنهض، ترددت، ورفضت، لكنه أخذ يدي بقوة وجرني خلفه، سحب المكتب وصعد فوقه، قال...

هذا الحبل المتدلي من سقف الغرفة ، ما ان تتبعيه حتى يوصلك الى كنز كبير ،فيه كل ما أخذناه من المصارف في نينوى والمدن التي دخلناها،فيه من الذهب والمجوهرات والدولارات ما لا يمكن عدُّه ، سنعيش عيشة رغيدة ، طاوعيني وانزعي عن

قلبك العناد والجفاء، طاوعيني لنتزوج .

فكرت،في الجواب الذي يناسب حالة القلق والترقب المحيطة، وحالة شيفان المشوشة، وقبل أن أنبس ببنت شفة ، داهمت القوات الامنية وقوات الحشد الغرفة بحركة سريعة ومباغته، وكان شيفان حينها معلقا في سقف الغرفة بعيدا عن أسلحته وحزامه الناسف، هجم عليَّ، وحاول خنقي بيديه، وكأنه يريد أن يستخدمني كرهينة، سحبني خلف المكتب، وكانت الغرفة قد عجّت بالتراب، والاصوات وصرخات الجيش ولم تعد الرؤيا واضحة عندي، أخرج شيفان مسدسا من الدرج ووضعه في رأسي..

ثم آخر ماسمعته، اطلاقة نارية وبعدها سقطتُ على الارض مغميا عليّ...

القصة بلا احتمالات

شاهد عيان

الأحلام تجعلك ترتحل من مكان الى آخر، ومن قارة الى أخرى بحركة واحدة أو بخطوة واحدة، تجعلك حرًا في تغيير مساراتك التي ترفضها، وتكون واقعا آخر غير الذي أنت عليه، فكم من القصص التي سردها لنا التاريخ عن تلك الاحلام التي غيرت مجرى الشخوص، وقادتهم الى مفاتيح السعادة والاستقرار، وكم صنعت تلك الاحلام من اللاشيء أشياء كثيرة، فأن تحلم يعني أنك قادر على الطيران الى عوالم أخرى، لا تطأها قدم، تختار الوانك التي تحب، والطرق المقتصة من تمنياتك المخبأة بين ثنايا الوقت والانشغال والهموم التي تكبل أيامك، وأحيانا تكون الاحلام صادقة أكثر من مصداقيتك مع ذاتك، فترسل اليك الإشارات والبشارات، كما حمل الحلم انكيدو الى كلكامش، حين رأى في حلمه نجما يهوي الى الارض، و كما رأى

يوسف عليه السلام وصار بعدها عزيزا، هذا ما حدث معي بالضبط!!

كنت قد يئستُ تماما من أن تعود لي ذاكرتي، أكملت كتابة كل الاحتمالات التي تخيلتها لحياتي السابقة، هناك في نينوى، قبل أن أفقد ذاكرتي بالكامل، محاولة مني لتجسيد حياة مفقودة الملامح، لكني وبعد هذا الحلم عرفت أن كل الاحتمالات التي كتبتها، لم تكن إلا واقعا، عاشته أغلب النسوة في المدينة، وربما كانت سوداوية الاحتمالات التي لم أكتبها، أكبر ظلمة من خيالي القاصر على تجسيد الشر الذي جلبته تلك الجماعات الآثمة...

كنت قد لملمت جراحي النازفة من جراء الفراغ الذي أعيشه، لكن في تلك الليلة التي أطلقت فيها عنان الاسئلة، ولم يعد يهمني ان أعرف القصة، وقررت أن أخلق شخصا جديدا في هذه المدينة الكبيرة، باغتني حلم، ولا غرابة بما رأيته فيه، إذ أنني في الآونة الاخيرة، لم تكن أحلامي إلا كوابيسا، لصور مقطعة، ورؤوس مترامية، أصوات فزعة، لكن هذه المرّة كان الامر مختلفا تماما، فلا أذكر كيف دخلت في سبات عميق كي يراودني حلمٌ كهذا، فعادة تأخذني الافكار في جلبتها واتقلب لساعات طويلة، قبل

أن أمسك بخيط النعاس والذي غالبا ما يكون خيطا واهنا يمتد من أعماق التعب لا الراحة والسكينة، لكنني هذه المرّة، دخلت في بياض شاسع، وكأنه شلال من الضوء، يسقط في داخل روحي، فيغسلها من كل درن، وكنت أقف على جسر تعلوه قبة ذهبية، ولا يحمل ذلك الجسر إلا أعمدة من نور، كنت أنظر الى نفسي من الاعلى مرّة، ومن الداخل مرّة أخرى، وكأن روحي تتنقل ما بين الاماكن كما أريد، ظهرت في حلمي وانا أرتدي زيًا أبيض، يغطي جسدي بالكامل، ووشاحا أبيض، يلفُّ رأسي وينسدل خلفي لمسافات طويلة، عجز نظري عن الوصول اليها، ثم ظهر من آخر الجسر، رجلٌ باسم الوجه، يحمل بيده مسبحة بيضاء، وتعلو رأسه عمامة بيضاء، ويرتدي لباسا طويلا بطبقات عدة لم تسعفني قوة الضوء من ملاحظة بقية تفصيلاته، تقدم نحوي بحركة هادئة دون أن يحرك قدميه، وكأن هالة النور التي تحيطنا هي التي دفعته، ليصل الي، ودون أن ينبس بكلمة واحدة، رمى المسبحة بإتجاه رأسي، فحاوطتني المسبحة كالقلادة، وتحولت حباتها الى صور واضحة...

فتحت عينيَّ بلا ارادة مني، وشعرتُ أن النور ما زال يحيط

بي، انتهى الحلم وتمنيت لو أنني بقيت في داخله، تمنيت أن انظر أكثر بتلك الصور، التي حملت وجوها واحاديث تخص حياتي، شعرت بأن الخدر يتملك جسدي ،ولا يمكنني الحركة، كانت لحظة صحوي تلك هي الحلقة الفاصلة ما بين معرفتي للحقيقة من عدمها...

نهضت ... وما زلت مأخوذة بما رأيته، كنت أعرف مليًا أنها اشارة أو بشارة من الله، وصرت أردد« سبحوح قدوس رب الملائكة والروح»، وحين كنتُ منشغلة ما بين التسبيح وذلك الحلم، دقَّ جرس هاتفي المحمول، ولم يخطر ببالي أحدا سوى العائلة التي ساعدتني على الوصول الى هذه المدينة، فتقدمت بخطىً متباطئة نحو الهاتف...

بزغ من سماعة الهاتف صوتٌ لرجل...

-السلام عليكم

- وعليكم السلام

-معكم الشيخ علي من كربلاء المقدسة..

قلت بتلعثم وحيرة...

-أهلا بكم تفضلوا؟

قال: بعد أن منَّ الله علينا بالنصر، وعادت نينوى الى أهلها سالمة من أيادي الظلام، شرعنا في توثيق هذه المرحلة المؤلمة، وهذا الشروع كان من تحت قباب الحسين عليه السلام، كما فتوى الجهاد، ونحن نبحث عن شهود عيان لنوثق المرحلة بحيثياتها، وتفاصيلها، ونعتزم السفر اليكم لغرض تسجيل شهادتكم ان لم يكن لديكم مانع لذلك...

وبينما كنت أمسك الهاتف، ترتقت عندي صورة الرجل الذي زارني في المنام ليلة أمس مع صوت الشيخ فصار المشهد أكثر وضوحا.

قلت...

لا بأس ولكن ذاكرتي مفقودة...

أجابني الشيخ بحسم ويقين بالغ، نزورك عسى أن تتذكري شيئا....

قلت... على بركة الله

ما أن أنهيت المكالمة، حتى انتابني شعور من البياض، نعم من البياض، وكأن الخراب الذي في داخلي، انسحب الى خارج روحي، وبت أراه دخانا أسود يخرج من نافذة الغرفة، حينها علا صوت في

داخلي وهو يردد(قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)، وللمرّة الاولى أستشعر حلاوة التسليم لأمر الله، فكل الاشهر التي عشتها سابقا، كنت أعيش فيها حالة من الرفض، مع اني لم أتوقف يوما عن التسبيح، ومحاولة تصديق ايماني الكامل، إلاّ في هذه اللحظة التي شعرت بأن الامور تجري بأعنتها المقدرة، وان كل صراخي، ونحيبي، ماهو إلاّ دبيب نملة في هذا الكون الصاخب، ولن يسمع صوتي المترامي والواهن إلاّ الله، وفي الساعة المقدرة.

مرّت الايام سريعة، وكنت حينها قد أفرغت رأسي من عبء التفكير، فلم أعد أفكر في أجوبة ، أو حتى حلول، فما أن وصلني خبر تحرير نينوى بالكامل، وان هناك بقايا من الامل لأصل الى مدينتي وأقربائي، حزمت أمتعتي للعودة، مهما يكلف الامر.

حان اليوم المقرر للقاء، فلم يصلْني الوفد المرافق للشيخ علي في اليوم المقررّ، بل أبلغوني بوصولهم، وحددوا موعدا للقاء، كنت في كامل يقيني، وايماني، وكأن نهاية الدوامة التي عشتها ستنتهي، بل انني كنت أنتظر المسبحة، كي ترفدني بصور عائلتي، أشكالهم، عددهم، مكانهم، مصائرهم، وحينما كنت انتظر، وصل الوفد، دخل الشيخ علي لتكتمل عندي صورته التي رأيتها

في المنام في تلك الليلة، وبعد الترحيب بهم، جلسنا للحديث، وكان أحد الاخوة المرافقين للشيخ علي قد بدأ بسجيل حديثي...

- ممكن ان نعرف أسمك الكامل؟

فأجبتُ وكأن لا ذاكرة مفقودة أسمي أمواج، انا أخت لاثنين من الشهداء الذين ذهبوا على أيدي عصابا داعش، كنتُ قد تسلمت جثة أحدهم لكن الثاني رُميت جثتهُ في الخسفة!

وكان يعرف انه قد حكم بالاعدام، لكنه فضل ان لا يخبر أحدا من أفراد العائلة، ما عدا أختي، وأوصاها على زوجته وأولاده، مع ان الدواعش كانوا قد أقسموا لأمي انهم سيرجعونه ليلا، وقالوا لها حضّري لنا الكبة، ولأن أمي من النساء النقيّات صدقت وبقيت تنتظر حتى جاءها خبر استشهاده، ، وبعدها عرفنا بأنه رُمي في الحفرة...

وفي الوقت الذي كانوا يسجلون فيه شهادتي أجهشت في البكاء، وقلت يا شيخ عادت لي الذاكرة، عادت لي الان...

فردَّ الشيخ عليّ مبتسما ، وهو غير متعجب وكأنه يعرف جيدا أنَّ هذا ما سيحدث: « ذلك ببركة الإمام الحسين -عليه السلام-، أكملي حديثك«..

أصيب أخي الثالث بالسرطان، جرّاء التعذيب الذي لحق به من عصابات داعش، بعد أن تمَّ اعتقال جميع أفراد عائلتي، ذلك لان أخوتي كانوا يعملون في القوات الامنية...

- ماذا حلَّ ببقية أفراد العائلة

توفى أخي بعد أن عانى من السرطان، ولحقت به زوجته بعد أن أصيبت بالمرض نفسه، بينما اعتقلوا اولادهم، ولم يبقَ غيرنا نحن النساء في المنزل، وكان ممنوعا علينا مغادرة البيت، ولم يبقَ من اخوتي إلاّ أخي الرابع الذي أجهل حالته وعائلته...

- هل ثمة وشاية؟ هل تعرفين من وشى بكم ؟

نعم... عرفنا أن شيفان وهو أحد أصدقاء أخوتي، كان قد صار قياديا مهما في داعش، وهو من وشى بأخوتي جميعا، وسلط أنظار داعش على عائلتي...

-كيف علمتِ بدخول داعش للمدينة ؟

كنت حينها في حديقتنا، وكان الجو هادئا، صحيح أننا كنا نعيش الارتباك الامني، ونسمع بين الفينة والأخرى عن المواجهات ما بين من يُعرفون بـ«المجاهدين» والقوات الامنية، غير أنَّ الوضع العام كان هادئا، حتى ذلك اليوم، الذي رأيت فيه

(جوري)، ابنة الجيران وهي في الخامسة من العمر، تلوّح لحديقة بيتهم، وتردد (بيباي فراشات، بيباي ورودنا) حينها خفتُ كثيرا، وشعرتُ بأن الحياة صارت على شفا حفرة!

- كيف تلقيتم فتوى الجهاد الكفائي ؟

«يأخذ الظلام منك القدرة على البصر فيصدح من مكان آخر صوتٌ يفتح في لجّة الظلمة كل البصيرة«. كنا حينها ننتظر أن تأتينا المساعدة، من مكان آخر، ولم يخطرُ في بالنا أن يكون لنا أخوة سيقفون معنا كالبنيان المرصوص، وسيقدمون أرواحهم، فداء لأرواحنا، فلم يكن العجب في دخولهم للمناطق محررين، بل انهم سجلوا في واقعنا أعلى درجات الانسانية، من خلال ماقدموه من احتياجات غذائية وصحية...

-كيف هاجرتِ الى هذه المدينة؟

بعد أن تمَّ اعتقال جميع أفراد العائلة، سحبني الدواعش بتهمة حيازة الهاتف النقال وأخذوني الى الدائرة الاعلامية وهي المكان الذي يتوسط المدينة، كي ينفذوا بي حكم الاعدام، لكن لسبب لا أتذكره، ضربني أحدهم على رأسي، وسقطت وقد أغميّ عليّ، وبقيتُ مُمده على الارض بين القتلى، الذين لم يجرؤ

أحد على التقرب منهم، نهضت وهربت الى أحد البيوت القريبة، وكنت حينها قد فقدت الذاكرة، فآوتني تلك العائلة، وأصدر لي أبوهم هوية باسم(موج)، وسجلني باسمه، ثم حرروا لي جوازا مزيفا بالاسم نفسه وهربوني الى هذه المدينة...

لم يكن بوسعي أن أكمل الحديث، وكان الشيخ قد شعر بذلك، فنهض مستأذنا بالذهاب، وقبل أن يغادر قلتُ وأنا محبوسة في داخل عبراتي التي تتكسر في روحي مابين الحزن والغبطة :

داعش فتح لنا باب جديدة، وهذا الباب لم يكن مغلقا وانما كان ممنوع الدخول، فدخول داعش غيّر الكثير من الأمور...إذ أخذ الغالي وأعطانا الاغلى ، فداعش أخذ أخوتي ولكنه أعطانا أناسا كثر أعزّ وأغلى ؛ صحيح أنا فقدت أخوتي ولكن عندي أنتم بالدنيا كلها، فصار لدينا ما يلازمنا ويكاتفنا ،وفي أيام ضعفنا لدينا من يساعدنا...

ثم قاطعتُ توديع الشيخ بطلب مني، فذهبت الى المكتب، وأخرجت الدفتر الذي كتبت فيه احتمالاتي، وقلت: هذه القصة كتبتها بذاكرة مثقوبة، محتملة عدة احتمالات لوجه القصة الحقيقي، قبل أن تزوروني وتتفتح طاقات النور في روحي، اسمح

لي بأن أهديها لكم، علّها تكون جُزءا من عملكم التوثيقي...

استلم الشيخ ذلك الدفتر مني ، الذي بقيت لشهور طويلة، وأنا أُدوّن فيه افتراضات عديدة حاولت جاهدة، خائفة، ومرتبكة، أن أفصح فيه عن وجه الحقيقة ، افتراضات ، كان معظمها مشابها لحياتنا في نينوى دون إدراك مني ، بينما أفصحت كربلاء عن وجه الحقائق كلها بحلم أبيض، غسل عن روحي كل غبار الشك.

عدت الى مدينتي، بمساعدة الشيخ، وقد تكفلوا بتكاليف سفري وتأمين رجوعي، عدت الى نينوى، ولم تكن رائحة الهواء المنبعث من بين الاشجار والغابات، تحتاج الى عامل مساعد كي أتذكر، فعلى الرغم من خراب الشوارع، وتعب المدينة، غير أن جذوري ما زالت هنا، أمتدُ مع امتداد الارض، ومع تبدل الهواء، عدت وأنا محمّلة بالحقائق، عدت الى منزلنا المهجور، وكان قد طاله الدمار والخراب، فتحت النوافذ، مع ان الشمس لا تخشى أن تدخل من الثقوب التي خلفتها نيران الدواعش، ساعدني الشيخ على الوصول الى بقية أفراد عائلتي، وكانت أمي وبقية العائلة قد هاجروا الى بغداد، وكان يوم لقائي بهم، كعودة الذاكرة الى رأسي الملبد بالفراغ، بينما طبعت حكايتي على ذاكرة الطين، قبل أن تطبع كرواية عنوانها «موج»...

المحتويات

الإهداء..... ١
قربة مثقوبة ٣
الاحتمال الأول
السير جنب الحائط يقيك المخاطر ١٢
الاحتمال الثاني
الخسفة ٣١
الاحتمال الثالث
فعل الخنجر..... ٥٥
الاحتمال الرابع
شيفان ٧٨
الاحتمال الخامس
موج..... ٩٣
الاحتمال السادس
صانع الشياطين ١٠٥
الاحتمال السابع
موج وشيفان مرة أخرى ١١٨
القصة بلا احتمالات
شاهد عيان ١٢٩